The Effect of the Constants and Variables of the Architecture of the Holy Shrines in the Adjacent Urban Fabric

(Al Ataba Alalawiyah model)

Mahmood Rezooky Hamid **Almamoori Hamza**

College of Engineering, university of Babylon, Babylon, Iraq

Mjanjun875@gmail.com ALmamori-almamori@yahoo.com

Submission date:- 11/12/2018	Acceptance date:- 20/12/2019	Publication date:- 11/1/2019

Abstract

Among the constants of holy attba building is the connection of its architecture with the values of the Islamic religion and the number of visits and the number of visitors to it. Time has passed and visitors are in a state of increasing, so their founders have taken the decision of change and development previously, which was compatible with the increase in numbers and maintaining the constants of the sacred architecture. The adjacent fabric changes according to the change in its holly architecture, and the adjacent fabric forms one unit with its attba, maintaining its shape for centuries. In the 1930s, its fabric was affected by the decision to demolish the walls of cities in general, including the holy cities, to open roads to facilitate the traffic movements of cars and the arrival of visitors with high speed as planned at the time. The Research problem despite the development of master plans for the Holy City cities because of the increase in the number of visitors, but did not solve the problem required. The aim of the research is to identify the visitor, the activities of the visitors, the spaces occupied by the activities, the religious and ideological activities, as well as the cultural and social activities, an important criterion in the holy attba building and its adjacent fabric, which has been affected by the increase of visitors and which is no longer sufficient for the activities generally been done throughout the year.

Keywords: Sanctity and Holiness, Constants and Variables of architecture of the holy thresholds, Adjacent fabric, Events and activities, Religious events.

Journal of University of Babylon for Engineering Sciences by ***University of Babylon*** is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

أثر ثوابت ومتغيرات عمارة العتبات المقدسة في النسيج الحضري المتاخم (العتبة العلوية إنموذجا)

محمود رزوقي حمد جنجون **حمزة سلمان المعموري**

قسم العمارة، كلية الهندسة، جامعة بابل، بابل، العراق

ALmamori-almamori@yahoo.com mjanjun875@gmil.com

الخلاصة:

إن من ثوابت عمارة العتبات المقدسة هي ارتباط عمارتها بقيم الدين الإسلامي وكثرة الزيارات وأعداد الزائرين إليها، لقد مرت حقب زمنية والزائرين في حالة تزايد لذا لجأ القائمون عليها باتخاذ قرار التغير والتطوير سابقا، والذي كان يتلاءم مع زيادة الأعداد مع بقاء الثوابت العمرانية والمتعلقة بعمارتها المقدسة. ثم ان النسيج المتاخم لها يتغير تبعاً للتغير الذي يحصل في عمارتها، كما يشكل النسيج المتاخم وحدة واحدة مع عتباتها فبقي محافظاً على هيئته طوال قرون مضت. وفي ثلاثينيات القرن المنصرم تأثر نسيجها بقرار هدم أسوار المدن عامة ومنها مدن العتبات المقدسة، وفتح شوارع وذلك لتسهيل حركة مرور السيارات ووصول الزائرين بانسيابية عالية كما خطَط له في حينه. مشكلة البحث على الرغم من وضع مخططات اساس لمدن العتبات المقدسة بسبب تزايد أعداد الزائرين، ولكنها لم تفِ بحل المشكلة المطلوبة. هدف البحث أعتماد الزائر، وفعاليات الزائرين، والفضاءات التي تشغلها الفعاليات، والأنشطة الدينية، والعقائدية علاوة على الانشطة الثقافية، والاجتماعية معياراً مهماً في عمارة العتبة ونسيجها المتاخم الذي تأثر بازدياد الزائرين والذي لم يعد كافياً لهم ولا للفعاليات التي تقام في عموم المناسبات الدينية وعلى مدار السنة.

الكلمات الداله: العتبات المقدسة، المخططات الأساس، النسيج المتاخم، الفعاليات والأنشطة، المناسبات الدينية.

1- المقدمة:

تعد الزيارات والفعاليات الدينية والعقائدية، والنشاطات الاجتماعية والثقافية في مدن العتبات المقدسة سمة من سماتها المميزة مما جعلها قبلة للزائرين المحلين والأجانب. مما دفع بالقائمين عليها برفع توصيات إلى الجهات العليا بضرورة الالتفات إليها. ووضع حلول مناسب مقابل تزايد أعداد الزائرين. فتوالت المخططات الأساس القديمة والحديثة مقدمة حلولا ترقى إلى حل المشكلة الأساس وهذا يكشف عن حقيقة أنَ مدن العتبات المقدسة تتمتع بزيادة في أعداد الزائرين إليها على مدار السنة وفي حالة تحد مع الزحام وقلة الخدمات السياحية للزائرين، مما جعل الدراسات اللاحقة تضع بدائل لتلك للمخططات الأساس أو تذهب باتجاهها، ومع تنفيذ قسم من حلول هذه المخططات ألاَ أنَ المشكلة مازالت قائمة، والتحدي بزيادة أعداد الزائرين ونشاطاتهم مستمرة و ما زالت ولكن بقي الحال كما هو، ثم أنَ المستثمرين بدوا حملة أعمار واسعة من إيجاد مباني خدمية تحيط بكامل العتبات وبدأ زحف الأبنية يمثل خطراً كبيراً على هوية المدن المقدسة عن طريق هيمنة هذه الأبنية المرتفعة بدلاً من هيمنة عمارة العتبات فيها فاندثر النسيج المتاخم بكثرة هذه التجاوزات، وتشكل نوع أخر من استعمالات الأرض ممَا أخل بهيئة المدينة العربية الإسلامية التي تميزت بطرازها الخاص من قرون مضت فلم تعد مدن العتبات المقدسة من ضمن نسيج المدن التقليدية، بسبب عدم المضي في تطبيق قرارات الحفاظ التي أكدتها المخططات الأساس، وهذا يكشف عن وجود فساد أداري وتخطيطي للمدن المقدسة وغيرها، وسيركز البحث على مفهوم المقدس والقداسة الشخصية والمكانية وثوابت ومتغيرات عمارة العتبات المقدسة كإطار نظري للبحث.

2- المقدس والقداسة:

تعد مفردة التَقديس لغوياً بالتطهير والتبريك، وتقدس أي تطهر [1، ص3550]، وإذا قيل: قَدَّس الله أي طهر نفسه له، أو قَدَّس الله فلانا طهره وبارك عليه، وقداسة المكان طهارته وجلاله [2] وقد اشتهر الإنسان القديم بالتعبير عن حدسه الداخلي ضمن مستوى أدراكه البدائي في اتخاذ بعض النبات أو الحيوان أو ينبوع بمثابة مقدسات، ولكن الإنسان الحالي قد لا يرى لها أي تقديس، بسبب تغيّر الوعي، ولذلك فما هو مقدس لبعض الطوائف قد لا يكون مقدساً عند آخرين. إذ يختلف المقدّس قطعا بحسب اختلاف الأديان وبحسب اختلاف المذاهب (Doctrines) والطوائف (Sects) والمجموعات (Groups) الدينية. ويختلف التقدَّيس عبر

الزمن حتى عند شعب واحد له الديانة والمذهب أنفسها، لأن عملية التقديس على الرغم من ثباتها النسبي عبر الزمن، تبقى مرتهنة بتحولات المجتمع والجماعات الدينية في علاقاتها بالعوامل غير الدينية في الحياة، وبالشعوب الأُخر وأنماط حياتها [3]، وقد نجد أنَ بعضهم لا يعتقد بقدسية البعض الآخر كل بحسب اعتقاده وتصوراته، وقد اتسعت دائرة القداسة بصنع الإنسان لتشمل أموراً ليست لها قدسية، فمفهوم القداسة يتأثر بدرجة الوعي والتغيير عبر المرحلة الزمنية حتى نجد البعض من يعتقد أنه لا وجود لأي مقدّس، وعلى النقيض للبعض الآخر يجدون ان كل الوجود مقدس. لذا تعد ظاهرة التقديس هي ظاهرة إنسانية كونية تختلف طرق أشكالها، وممارستها مع اختلاف تأويلاتها. لقد بحث "دورخايم" عن الدين في المجتمعات البدائية ومصدر نشوئها منطلقا من منهجه في اعتماد المجتمع هو مصدر الدين وذلك من طريق عد بعض الظواهر مقدسة وأخرى مدنسة وتُعد من الحرمات فيما تبقى الأخريات في حالة التقديس والتي تؤدي إلى سلوك قويم ومقدس قائم على الاحترام والرهبة والشرف إلى جانب الغموض فيها، ويذكر ان الاحترام لبعض الظواهر ينقلها من حالة المدنس إلى المقدس وارتفاعها بالوقت نفسة إلى هذا المستوى ليس كافياً لتطور الدين بل لابد من توفر ثلاثة معايير أولا: يجب أنْ تتطور نسق من المعتقدات وهي التي تعبر عن الأشياء المقدسة ومجموعة علاقاتها حتى مع الأشياء المدنسة. ثانياً: وجود مجموعة ذات نسق من الطقوس التي تمارس كسلوك تلائم. ثالثاً: احتياج الدين إلى مكان أو مجتمع أخلاقي. هذه المعايير تقود إلى تداخل ما بين المقدس والمعتقدات والطقوس أنَ الدين هو عبارة عن نسق من المعتقدات والممارسات تجاه الأشياء المقدسة والتي تعد محرمة بذات الوقت وتوحد المجتمع أو من يلتزم بالمعتقدات (المقدس). كما أنَ ليست الأشياء المقدسة ممثلة فقط في تلك الكائنات التي تسميها إلهه وأرواحاً، بل المقدّس أيضاً هو الأشياء والموضوعات مثل الينبوع "إذ كل ما هو ديني مقدّس وليس كل ما هو مقدّس ديني". [158-159PP،4]. إنَ الدراسة ركَزت على مجموعة أفكار نابعة من المجتمع الذي اعتمدته الدراسة وجعلت من المجتمع هو مصدر الاعتقادات وحملت الدراسة مجموعة المقدسات التي تسالم عليها المجتمع أو التي ركز عليها ونقلها من حالة إلى أخرى مقدسة في ضوء الاعتقاد الجمعي الى جانب ذلك ثلاثة معايير اكسبها صفة القدسية، ومن أهمها احتياج الدين إلى مكان ومجتمع ليمارس طقوسه المقدسة. بين [5] إنَ الدين يبدو وكأنَه مطبوع في النظام الكوني قانونا خاصاً بالفكر الذي يطوف في مدارات مختلفة من الإسلام الموحد إلى أقل الوثنيات البدائية حول مركز واحد يخطف سناه الأبصار، وهو حافل بالأسرار إلى الآبد [5،ص15– 30] إنَ الدين هو تجلي قوى نفسية لاشعورية يختلط فيها الإلهي بالإنساني والعقلي بالاعقلي، وإنَ عالم مقدس هو الفكرة الأم للدين، والتخلق الديني يمنحها القدَاسة ورجال الدين يجسدونها، فالمعابد والأماكن المقدسة الدينية تثبتها في الأرض، وترسخ أقدامها، إنَ الدين هو إدارة المقدَس، وإنَ الأشياء" من الكائنات و حيوانات وأشجار، وأنهار، وكهوف، وكواكب، والملك، والكاهن و المعبد والكنيسة"، لا ترتديها القداسة من تلقاء ذاتها بل إنها صفة سرية هي التي تضفي عليها القدَاسة.. إذ يقول: أن المخاطبة الإلهية لنبي الله موسى في الطور حيث قال له "لا تقترب إلى هاهنا أخلع حذاءك من رجليك، لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة". إنَ الكنيسة في مدينة ما والباب الذي يفتح إلى داخل الكنيسة يمثل حالة من الانقطاع في المكان، وتدل عتبة الباب التي تفصل المكانَينْ على الفرق بين العالم المادي والعالم الديني، وهي المكان العجيب المفارق الذي يلتقي فيه العالمان ويمكن الانتقال إلى العالم المقدس عبر العتبة. إنَ الحرم المقدس يسهل الاتصال بالسماء وفتح باب نحو الأعلى، وبحسب رؤيا يعقوب في كنعان عندما رأى في منامه سلماً منصوبة على الأرض ورأسه يلامس السماء ورأى الملائكة صاعدة ونازلة عليها، وسمع الرب وهو واقف عليها ويقول: "أنا الرب إله إبراهيم" [5، ص50– 52]. فالياد يلفت النظر لتأثير المكان المقدس، وفتح باب نحو الأعلى إشارة إلى نزول وعروج الملائكة وكأنه يصف كيفية تأثير المكان على روحية الإنسان بلحاظ المكان والبعد المعنوي كما وضح ذلك بمثال يعقوب وكيف أنَ الأماكن المقدسة لها حراساً أو ملائكة، والتي هي عبارة عن أبواب التواصل مع السماء، والآيات القرآنية قدمت دليلاً واضحاً في وجود مقدسات وأشارت بمثال عن أماكن مقدسة (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ. سورة المائدة آية 21) أي المطهرة، [6]. وقوله تعالى: (... فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى. سورة طه آية 12). إنَ المفهوم الذي أثبته الآيات الكريمة من طهارة وقداسة أماكن معينة يترتب عليه جوانب ذات أثر روحي يرتبط بالملك القدوس، لغايات وأمور تتعلق بالعبادة والتواصل مع الخالق، وعن ابن عباس (المقدس) أي المطهر [7] وهذا المعنى أكّد عليه جل المفسرين، وبما أنَ التقديس هو التطهير، وقد أثبت النص القرآني تقديس بعض الأماكن، ولفت النظر إلى قداسة الأشخاص المطهرين كقوله: عن السيدة مريم (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ. سورة آل عمران آية 42). وهذا يفسر مصطلح قدّيسة الذي تم إطلاقة على "السيدة مريم". وقدّيس أي ولي صالح متعبد طاهرا نقيا من كل اثم، والقدّيس عند النصارى المؤمن الطاهر الفاضل، ولذلك تم إطلاق تعبير القدّاسة على الكرسي الرسولي البابوي، وتسمى بالقدّاسة البابوية، [8] وهكذا كل من اصطفاهم الله وطهرهم تطهيرا، كما في قولة تعالى (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا. سورة الأحزاب. آية 33). وهؤلاء المطهرون هم المصطفون، بقوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا. سورة فاطر. آية 32). نستنتج أنَ للمكان قداسة وكذا

للأشخاص باصطفائهم من عند الله تعالى فالتقديس في الإسلام راجع إلى هذين المفهومين كبناء معرفي يستمد منه أصل القداسة. بما أنَ القرآن أثبت بأنَ هناك قداسة فهي على نوعين وكما يأتي:

أولاً: القداسة الشخصية: وهم الأشخاص المطهرين والمصطفين من أنبياء ورسل وأئمة، وغيرهم من الشخصيات بحسب اعتقاد الشعوب بغض النظر عن اختلاف الناس بمن هو مقدس وغير مقدس.

ثانياً: القداسة المكانية: وهي عمارة الأمكنة المسجدية التي اتخذت كمقدسات كبيت المقدّس ومكة المكرمة، والروضة النبوية وعمارة العتبات المقدسة كونها مرتبطة معنوياً بانتمائها إلى المقدس.

ونستنتج من ذلك أنَه عند تفاعل الأنسان مع الشكل الفيزيائي لعمارة العتبات التي اتسمت بصفة القدَّسية فهي تثير المعاني الروحية في وجدان الأنسان، فتنقله مشاعريا من عالم إلى آخر عبر عتبتها، إذ تتكون علاقة ثلاثية أساسها تفاعل الإنسان، فعند صيرورة حدث مادياً ما في زمن ومكان ما، والذي يملك بعداً معنوياً ما هذا البعد المعنوي لجوهر الحدث المادي والذي هو محيَّد زماناً ومكاناً، يتجلى بتفاعل الإنسان مع المادة في الزمان والمكان وكالآتي:

-الإنسان --- حدث---بحضور الزمان والمكان.

-الإنسان--- حدث --- بتحيَّد الزمان والمكان.

-الإنسان--- بتأثير المادة زمانها ومكانها للانفتاح على جوهر الحدث (المعنوي) الذي حيَّد في زمانه ومكانه. ويقدم الشكل (1) العلاقة الثلاثية بين البعد المادي والمعنوي والإنسان، إذ يتبين قمة المثلث الخاص بالإنسان نحو الأعلى وهو رمز للصعود والرقي والتواصل مع السماء من طريق المثلث المادي الذي يمثل العمارة والمثلث المعنوي الذي يمثل البعد المقدس للعمارة بتّحيد الزمان والمكان.

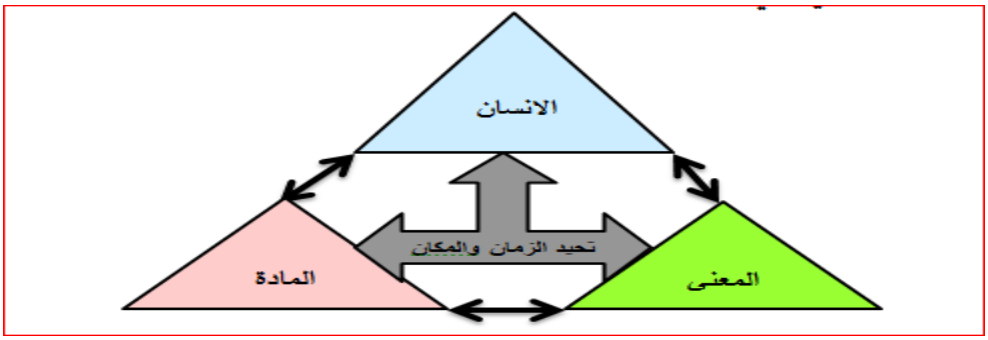

شكل (1) يوضح العلاقة الثلاثية بين الإنسان بالبعد المادي والمعنوي للحدث في تحيّد الزمان والمكان. المصدر: أعداد الباحث

3- الثوابت في عمارة العتبات المقدسة:

تعد ثوابت العمارة الإسلامية المنبثقة أصلاً من أحكام الدين الإسلامي فتناولت الدراسات المعمارية هذا الجانب لتبين أهم النقاط المشتركة في ثابت العمارة ومضمونها والمتغيرات التي تعد من ظاهرها فبين [9] عمارة المساجد وما تمثله من عمارة مقدسة لها مضمونها لدى المجتمع المسلم فضلاً عن علاقات تشكلها كعمارة، إنَ موضوع التغير المعاصر وإمكانياته عن طريق التواصل مع الماضي أو التجديد فلا توجد حواجز شكلية أو فكرية ألا الثوابت التشريعية للدين [9، ص47-48]. لقد بينت الدراسة أن التغير كمفهوم حاصل في عمارة المساجد كحالة تشكيلية في عموم المساجد، هذا التشكيل التصميمي هو بالنتيجة لا يخرج عمارة المسجد عن كينونته المسجدية، فيما أكَد على أنَ المساجد لها شروطها الخاصة فيما يتعلق بمركزتيها كنواة في المدينة إلى جانب القدرة الاستيعابية لها، وسهولة الوصولية اليها، وبعدها عن مصادر الضوضاء الصناعية، والروائح الناتجة من بعض الصناعات علاوة على الكنيف. إنَ التغير الذي يحصل في عمارة المساجد هو تغير معماري وإنشائي ويبقى مضمون المسجدية قائم يحاكي عبق الماضي ويتواصل معه، أما عمارة العتبات المقدسة فأنَها لا تخرج من دائرة هذه القيود. أما [10] فذهبت إلى أنَ الإسلام هو حقيقة ثابتة حالياً وهو ذاتها من قرون مضت وهي أساس الحضارة الإسلامية بكل جوانبها فلسفتها، عمارتها، فكرها. إنَ عقيدة الإسلام

تبقى ثابته محفوظة وهذا ما أكَدت علية الآيات الكريمة كذلك شكّلَ الاعتقاد بالله، وعلاقة الإنسان بالمجتمع، وعلاقة الإنسان بالبيئة، ومن هذه الثلاثية تتولد عدة أنظمة تشكل بمجموعها فلسفة لمجتمعها الذي أساسه كما يأتي:

ثانيا: العلاقة بين ثوابت العقيدة" وهي ثوابت الشارطة لعمارة المساجد" وبين المتغيرات الاجتماعية والسلوكية للمجتمع مع المؤثرات التقنية والاتجاهات الفكرية، وهي من أهم الموضوعات التي بات الاهتمام بها.

أ- الاعتقاد بالله الذي يؤمن به المسلم نظام شمولي يدخل في كل تفاصيل الحياة اليومية له وبالتالي فهو يتحرك ضمن مجموعة نظم ترتب علاقته بالله في أوقات معينة.

ب- إنَ العلاقة العقدية مع الله يجعل الفرد منظم في حياته مع الأخر فرداً كان أو المجتمع فنظام العلاقات يترتب على أساس احترام الخصوصيات وكذلك قاعدة لا ضرر ولا ضرار، وهكذا فالنظام العقدي لا ينفك مع حياة المسلم.

ج- إنَ علاقة الفرد مع نظام البيئة علاقة أساسها التكييف وكيفية الاستفادة منها كالثروات الطبيعة والحفاظ عليها بعدم هدرها.

إنَ عمارة الفكر الإسلامي هي مجموعة القيم والأفكار والأحكام المنبثقة عن المبادئ الإسلامية التي تحكم وتنظم هندسة العمارة وتخطيط المدن في بلاد المسلمين، وبينت دراسة [11] أنَ "المضمون" المنبثق عن الشريعة هو الذي يحرك الأشكال ويغيرها ويحوّرها ويطوعّها لما يحقق أهداف الشريعة وغاياتها، وهو الذي أوجد بالتالي الطابع المعماري الخاص بعمارة المسلمين في مختلف بلدانهم، وفي مختلف العصور. فيعد المضمون "ثابتاً" أما "المتغيّر" فهو معالجة المباني بما يحقق هذا المضمون، وهذا هو العنصر الذي يتغير من زمان إلى زمان حسب الظروف والتطورات ومن مكان إلى مكان بحسب البيئة والمناخ، الستر والخصوصية، والخصوصية البصرية للأسطح وسترها، وذلك عن طريق:

أ- تحريم التجسس، الخصوصية السمعية للأبنية التصوينة العالية التي تحمي السطوح من أنظار الاخرين وتحمي الآخرين من نظر مستعملي السطح نفسه.

ب- تكريم الإنسان إذ يحتل الإنسان الأولوية الأولى ضمن جميع ما حوله.

ج- تحقيق مبدأ السُكنى، تحقيق الهدوء والسكن والراحة والأمان.

د- استعمال الجدران المعزولة بين الأبنية المتجاورة، والشكل المعماري الناتج: جدران مزدوجة للمساكن المتلاصقة لضمان الخصوصية السمعية للمنازل.

هـ- تقديم المقياس الإنساني في العمارة واحترامه، ويكون الشكل المعماري الناتج: مبانٍ متواضعة تحترم المقياس الإنساني.

و-حفظ المساحات الداخلية للمنزل من أنظار الغرباء وتشمل: (تحديد ارتفاعات المباني والفتحات الخارجية الموجودة فيها، معالجة سطوح المنازل لتحقيق الخصوصية لمستعمليها، استعمال الستائر الخشبية لحماية النوافذ الخارجية من أنظار المارّة، مداخل المنزل الخارجية يجب أنْ تحمى داخل المنزل من أنظار الغرباء، للوصول إلى الأشكال المعمارية الناتجة.

ز- ضمان المعالجات المعمارية التي تشمل البيئة والمناخ والجمال والمتانة، **[11، ص147-148]. إنَ هذه الشروط هي ثوابت الفكر الإسلامي في العمارة الإسلامية بشكل عام وكذلك تدخل عمارة العتبات قسم من هذه الإرشادات**، كما أنَ دراسة **[12]** أكَدت على ما يأتي:

أ- عملية التخطيط الواعي التي كانت تسمى بالخطط الإرشادية والتي تحدد فيها الطرق والمرافق والخدمات العامة.

ب- هناك شروط تستند عليها الخطط مبادئها قاعدة لا ضرر ولا ضرار.

ج- تحقيق مبدأ التماسك في العمران بلا فراغات تقطع من أوصاله العمرانية أو الاجتماعية، وهنا تكون الأفضلية لمن له القدرة على التشييد، وينعكس هذا المبدأ بالتالي على نظام تقسيم الأراضي وتخصيصها على أساس الوحدة في طول حد الجوار والاختلاف في العرض بما يتناسب مع القدرة في الدفع والبناء مع التزام بالتجانس في العمارة الخارجية.

د- توفير الخصوصية في العمارة الداخلية في إطار الطابع المعماري لوحدة الجوار (المحلة السكنية) التي أساسها الحديث النبوي (ألا أنَ أربعين داراً جار) شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، وهي إشارة نبوية مقدَّسة إلى الخلية الاجتماعية التي تتكاثر في عملية البناء العضوي للمدينة، وهي تتطابق مع النظام العضوي العام.

مـ - الامتدادات الأفقية لما تشكل من علائق اجتماعية سليمة من نواحي عدة. **[12،ص12]**. أما دراسة **[13]** فبينا أنَ الدين الإسلامي نظام إلهي للحياة البشرية، يتناسب وحياة الفرد والمجتمع في كل زمان ومكان، وينظم حياتهم، ولقد أثرى في نتاجات الإنسانية المتنوعة، كما أنَ الحضارة الإسلامية ونتاجها ومنها العمارة عكست تشابه هويتها في عموم المناطق التي تواجدت فيها على الرغم من اختلاف ظروف بيئاتها بتميز عن الحضارات الأُخر مع انبساطها على أرض شاسعة ذات ظروف بيئية وثقافية وحضارية مختلفة، كما أنَ العمارة الإسلامية ارتبطت بسمات وثبات المضمون الذي جعلها تحافظ على مضمونها على الرغم من تغير الشكل الفيزيائي بتغير الزمان وقد بين تفاصيل هذا المضمون والشكل الفزيائي وعلاقتهما مع بعض كما يأتي:

أ- كل ما يشتمل عليه العمل الفني من فكر أو فلسفة أو أخلاق أو اجتماع أو سياسة أو دين وغيرها.

ب- الجوهر الفكري (The intellectual essence) المستمد من الدين الإسلامي والمؤثر على تشكيل أنماط العمارة والذي يتسم بالثبات لكل زمان ومكان وغير خاضع للتبديل أو التغيير مهما اختلف الزمان والمكان.

ج- تعبير يضم المتطلبات الوظيفية ((Functional requirements بجانب المتطلبات الإنسانية والاجتماعية.

د- يسمو بالإنسان ((is called human إلى سماوات الفلسفة والدين بما يتفق مع الأخلاق.

ه- المضمون هو أعم وصفاً من التعبير المعروف في العمارة (بالوظيفية) المحكومة بمحددات هندسية وفنية واقتصادية، وإنّ المضمون الإسلامي هو منهج علمي للمعماري وانّه ثابت لا يتغير.

و-المضمون الإسلامي يتناسب مع كل زمان ومكان.

ز-المضمون هو المكون للشكل وهو أساس تفسير الشكل المعماري.

يرتبط المضمون بالشكل استنادا إلى الربط بين النظرية والتطبيق، وبحسب الأتي:

1- يحدد الأشكال الفراغية والحجمية للعناصر المكونة للعمل المعماري.

2-يحدد العلاقات المكانية والفضائية فلا يبقى إلا التعبير المعماري عن الشكل الذي تتكامل فيه هذه العناصر.

3-يجسد المكان في الزمان، والزمان في المكان.

4-وظائف الأشكال الز مكانية تتأسس في كونها أداة تحليل تاريخية ومعمارية لفحص العلاقة بين العمارة والحياة.

5-المضمون مكون للشكل والمؤثر على تشكيل أنماط العمارة وأشكالها الفراغية والحجمية [13، **ص10-13**]. هذا فيما يتعلق بالثوابت. **أن جملة الثوابت كثيرة في التشريع الإسلامي ولكن ما يتعلق بموضوع العتبات المقدسة نرى أنَ من أهمها هي الضريح وأتجاهيته نحو القبلة.**

جدول (3) يوضح ثوابت العمارة الإسلامية والمفردة المتحققة كثابت.

ثوابت العمارة الإسلامية	المؤثر	مفردات متحققة في مضمون الشكل الفزيائي
ثوابت العقيدة في العمارة الإسلامية القرآن والسنة النبوية الشريفة مصدر التشريع. التي يصدر عنها 1. ثابت العلاقة مع الله ثابت العلاقة مع الإنسان والمجتمع ثابت العلاقة مع البيئة وباقي الكائنات	تؤثر هذه الثوابت في مضمون الشكل الفزيائي	كرامة الإنسان
		السكن والأمان
		المقياس الإنساني
		تحديد الارتفاعات
		التخطيط الواعي
		تحقيق مبدأ التماسك
		توفير الخصوصية
		التمدد الأفقي
		قاعدة لا ضرر ولا ضرار
		مكان عبادة
		علاقة وعلائق اجتماعية
		البيئة تفرض نفسها في عملية تشكلها بيئية جمالية سكنية
		التشكيل في العمارة بحسب وظيفيتها
		العمل الفني في العمارة يتضمن، أخلاق، فلسفة، اجتماع، سياسة، دين
		فكر جوهري غير خاضع للتغير في الزمان في المكان
		فراغات علاقات مكانية

المصدر: أعداد الباحث عن الدراسات السابقة

4- المتغيرات المعمارية في عمارة العتبات المقدسة:

فقد أكدت طروحات [14] تفسير العمارة الإسلامية على أساس المضمون وعلاقته بالشكل، أن استقرار المضمون الإسلامي في تحديد الأشكال الفراغية والحجمية للعناصر المكونة للعمل المعماري، وتحديد العلاقات المكانية والفراغية، فلا يبقى إلا التعبير المعماري عن العمل الذي تتكامل فيه هذه العناصر، حيث تدخل مواد البناء المحلية في الشكل الفزيائي علاوة على الفن الموروث الذي يبلور القيم في تعابير معمارية محلية. [14، ص95] أنَ ترسخ القيم في أشكال العمارة الإسلامية التاريخية، علاوة على ترسخها في وجدان المعماري كما ترسخت في وجدان المجتمع نفسه، رغم متغيرات عدة منها الاجتماعية والسياسية والتكنولوجية التي كانت سائدة سابقاً. إنَ الشكل في عمارة المسلمين يتبين عن طريق المضمون الذي تجسده المواد المحلية وطرق الإنشاء فضلاً عن المفاهيم والقيم الفنية المتوارثة في بلاد المسلمين ويمكن القول إن عمارة المسلمين هي عمارة للبيئة وترتكز على مضامين إسلامية [14، ص70]. نستنتج أنَ القيم الثابتة والمتوارثة هي عملية تواصل مع العمارة الإسلامية التي تكونت في عالم ذي ثروة معمارية هائلة من القيم، والأشكال، والأساليب الفنية، ولكنها نشأت في عالم يمتاز أيضاً على ما يبدو بقدرة كبيرة على التصرف بمرونة في المعاني التي تعطى للأشكال والأساليب، وأنَ هذا التصرف بمرونة يعطينا القيمة العليا للتواصل مع التراث كأساس لعمارة إسلامية مستقبلية. وهذا يقودنا إلى القيم المتوارثة التي تجعل من نسخة الماضي حاضره في الشكل ومضمونه وكذا في وجدان المجتمع كحالة ممارسة في الواقع المعاش جراء التغييرات الحاصلة عبر الزمن بشكل واعي لدى المعماريين أو حتى من دون وعي في عموم المجتمع. إنَ التغييرات التي تحصل في عمارة العتبات لابد أنْ تكون لها مقومات التغيير كنتيجة حتمية كتقادمها الزمني أو صغرها وزيادة في أعداد الزائرين أو خلل إنشائي أو ما شابه ذلك. إنَ قرار التغيير في العتبات يتعلق بالبعد السياسي والاقتصادي والإجتماعي.

5- المتغيرات الثقافية والاجتماعية:

أما طروحات [15] فذكر أنَ التشكيل الحضري في الإسلام كفلسفة زمانية-مكانية يستمد صيرورتها من جوهر مبادئ الدين الإسلامي، من حيث البساطة وعدم المبالغة مع ضمان حفظ الخصوصيات وتحقيق التفاعل الاجتماعي

. [15، ص1-14]. نستنتج من الطرح أعلاه بأنَ التشكيل الحضري وفضاءه هو عباره عن مكان – زمان – فرد، تتحقق فيه خصوصيات المجتمع المسلم والمتغيرات من الفعاليات الاجتماعية والثقافية تؤثر في الفضاء التشكيلي الحاوي لهذه الفعاليات وأنَ مر بمراحل تغييرية وبشكل مستمر فهو يملك قدر ثبات المضمون لها. أن جملة التغيرات من الفعاليات الاجتماعية والثقافية هذه تؤثر بشكل مباشر بفضائيين مهمين، هما: الفضاء الحضري أي النسيج المتاخم لعمارة العتبات وفضاء العتبة الذي يأتي بالدرجة الأولى لهذه الفعاليات والأنشطة، إذ إنَ للعتبات دوراً مهماً في حياة المسلمين إذ تلعب دوراً علمياً من حيث احتضانها لطلبة العلوم الإسلامية، ودورا ثقافيا من طريق أقامتها لدروس فقهية وتوعوية ، ودورا قرآنياً عن طريق دورات تعلم قراءة القرآن الكريم، ودوراً اجتماعياً عن طريق وفود العوائل إلى الزيارة والدعاء والصلاة، ودوراً عقائدياً من حيث تشيع الجنائز والصلاة عليها، وفعاليات شفاهية في أيام الحزن حيث تطوف مواكب المعزين في نسيجها وفي فضائها الداخلي. يمكن ان تكون هذه النشاطات والفعاليات متغيرة في الأسلوب ولكنها ثابته في المعنى سواء أكانت في النسيج المتاخم أم في فضاءات العتبات وتعد معياراً مهما في اتخاذ أي قرار.

6- المتغيرات الوظيفية والسياسية:

ذكرت دراسة [16] أثر المناسبات الاجتماعية في عموم فضاءات المدينة تتطلب فضاء مناسب لهذه الفعاليات، كما وأنَ الكيانات السياسية لها الأثر في تكوين فضاءات حضرية وهي عادة ما تكون متغيرة من مجتمع إلى آخر وأن للعامل السياسي دوره في تغيرها كما تم الاهتمام بالفن والمسرح والعلاقات الاجتماعية يقابله في أماكن أُخر قاعات رياضية وساحات كالنشاطات الدينية والعقائدية فالفضاء يتلاءم مع نوع الأنشطة ونوع ممارساتها [pp.11-25، 16]. يتبين مما طرح أعلاه أنَ العامل السياسي إلى جانب العامل الاقتصادي يكونان عنصراً أساسياً في التأثير المباشر على عمليات التكوين الفضائي في المدينة كنتيجة حتمية لمحصلة الإدارة والحكم علاوة على ذلك فهي ترسم مديات عقدية لمستقبلها، هذه العوامل تنشط الحركة الثقافية المجتمعية تبعا لإرادتها، وتخلق فضاءات تتضمن فهمها للمعتقد الديني والاجتماعي والترفيهي، بما يتناسب ومضمون توجهات الكيانات السياسية لمجتمعها. أما فيما يتعلق، والعمارة الإسلامية بشكل عام والمساجد أو الأضرحة بشكل خاص هي أيضاً حيّز للحضور الإنساني الهادف إلى التواصل والاتصال مع الخالق وعبر الفروض التي يؤديها المخلوق لخالقه، فضلا عن الفعاليات الدينية والأنشطة الثقافية والقيم الاجتماعية، إنَ العمارة الإسلامية تميزت بالتركيز والانفتاح على الداخل أكثر من الخارج، والمرونة وقابلية التكيّف والامتداد الأفقي وعلى فترات أو حقب زمنية تصب في تبنيها إلى مجمل القيم والفعاليات. كما طرحت دراسة [17] طرحت الدراسة وجود هوية معمارية بصفاتها التي يميزها المتلقي ضمن النتاج الفزيائي ومعانيه، إنَ حدوث تحولات في البيئة الحضرية على مستويين شكلي ودلالي وتؤدي إلى خلق هوية جديده، وأن البيئة الحضرية هي مسرح التفاعل بين الأنسان والمكان ضمن الفضاء الحضري عن طريق وجود الكتلة والفضاء والسياقات التي تربط بينهما على مستويين:

الأول: الظاهري الشكلي وهو مجموعة العناصر، والأشكال، والعلاقات، وسياقاتها تشترك في تحقيق الناتج المعماري ضمن البيئة الحضرية.

الثاني: الضَمني الدلالي ويشمل كل الدلائل المقصودة، وغيرها ضمن الناتج المادي مع مجموعة المعاني المرسلة إلى المتلقي.

وهنالك نوعان من التحول هما:

الأول: تحول داخلي نتيجة للتطور الزمني للعناصر والعلاقات الرابطة بينهما.

الثاني: تحول خارجي يكون بوجود مؤثرات خارجية على البنية الحضرية، وعلى هذا الأساس يكون التحول على المستويين كليهما شكلي وضمني **[17، ص25-108]. نستنتج مما سبق أنَ التغيير الذي يحصل في الأشكال والكتل ضمن البنية الحضرية نتاج تفاعل الإنسان مع البيئة المحيطة التي يتعامل معها ولها حالتان أحدهما**

تتعلق بالظاهر وهي مجموعة العناصر والمواد الداخلة في البناء والثانية تتعلق بمضمون العمارة وما توحي إلى المتلقي عن طريق هيئتها وظيفتها التي تؤدى في داخلها.

7- المتغيرات العمرانية والحضرية:

كما وبينت طروحات [18] عدة أسس بالنسبة للمباني ونمطها العمراني ويمكن إبراز ثلاثة عناصر إضافية مهمة تساعد في توضيح فكرة هويتها المرتبطة بالتعبير المعماري هي:

أولاً: الغرض النفعي من أنشاء المبنى (Purpose).

ثانياً: تأثير المبنى على الإنسان (Experience).

ثالثا: معاني القيم ومدلولاتها الجمالية **[18،p. p83-105]. لقد وضح لاتج وهو يشير إلى الغرض النفعي الوظيفي الذي يؤديه المبنى لمجمل المنتفعين به مضافا إلى قيمتين أساسيتين في عمارة العتبات المقدسة، تأثيرها على الزائر وجملة الإيحاءات الروحية التي يستشعرها الزائر بشكل غير ملموس ولا يمكن قياسها بالطرق العلمية، وإنما يمكن أنْ توصف عبر مشاعر الزائرين لها بما تتكون به عمارة العتبات من مقياس أنساني، وجمالية في سائر أرجائها تهيمن بأجوائها العاطفية الحانية على زائريها من جانب فضلاً عن عظمة الضريح معمارياً كقيمة معنوية يستحقها صاحب الضريح وهو غني عنها ولكن زائرية يكرموه لعظم منزلته في نفوسهم، هذا التعظيم والتبجيل والتقديس لصاحب الضريح يعود بالنفع على زائريه إذ يستشعر الزائر الراحة النفسية عندما يكون مطمئنا بوجود عمارة تضلل الضريح المقدس وتتزين جدرانها وأرضيتها وسقوفها بما يريح نظر الزائر وأحاسيسه، إلى جانب باقي الخدمات التي تعين الزائر على المكوث برهة من الزمن ليستريح ويلتقط النفاسة بعد مشقة الطريق وعثواء السفر الذي جاء من أجله للزيارة والتواصل مع صاحب المقام، مما يعزز ذلك من أنْ يؤدي براحة وطمأنينة مراسيم الزيارة والدعاء والصلاة من دون أي حالة من حالات التكدر.** أما طروحات **[19]** فقد بينت اهتمام أكثر المنظرين بالوظيفة، واهتموا بوظائفها الجديدة التي ظهرت في القرن الحديث، التي لم تكن سابقاً لها من وجود لذا طرح "سوليفان" فكرة إنقاذ العمارة من شكلها الثابت والمكرر وربطها بالوظيفة، قاصداً بذلك ليس للعمارة شكل ثابت على فرض أنه ليس من وظيفة واحدة للعمارة. ولقد تابع المعماريون هذا المبدأ، وذكر أنَ ميس "فاَن دوره" قد استخلص من هذا المبدأ "أن على العمارة أنْ تخضع للحياة وأن تخدمها وليس عليها أنَ تفرض فرضاً على الإنسان والمجتمع. **[PP105-19،111]. هنا يؤكد "Cook" من أن عمارة العتبات المقدسة هي بالواقع تخدم الزائر فيما يتعلق بواقع أداء الفعاليات الاجتماعية والدينية والثقافية علاوة على طقس الزيارة إذا كانت هذه العتبة أو تلك مكتملة من الناحية الخدمية لذا كانت وما زالت العتبات المقدسة تتطور تزامنيا وزمنيا للغرض النفعي الذي يعود على خدمة الزائرين وتكريمهم.**

8- نوع التغيرات في مدن العتبات المقدسة:

بينت طروحات [20] إنَ من أهم أنماط التغييرات التي تحدث في البيئة العمرانية والحضرية كما يأتي:

ا- التطوير: تشييد عمراني في أرض خالية لم يسبق إعمارها.

ب- الأملاء: تشيد مبنى لمليء فراغ محدد موجود ضمن سياق البيئة الحضرية.

ج- الإضافة: أضافة كتلة بنائية تلحق ببناية قائمة.

ه- التحوير: إحداث تغير في التكوين المادي لمبنى أو منطقة.

و- الإزالة: تهديم منشئ عمراني وترك الموقع خاليا.

وقد أشار الباحث كمونة إلى أنَ التغييرات هي التحول إلى حالة مختلفة نتيجة فعل ما، له أربعة أنواع مختلفة من التغير.

أنواع التغير:

ا- تغير تطويري: وهو تغير طبيعي يحدث تدريجياً.

ب- تغير متصدي: وهو تغير مفاجئ.

ج- تغير انقلابي: وهو تغير جذري.

د- تغير موجه: وهو تغير مقصود. [20، ص121-122]. نستنتج مما سبق ان التغييرات التي تحصل في نسيج العتبات المقدسة هي تغيرات في استعمالات الأرض وهي نتاج قرار هدم أسوار المدن بشكل عام وأسوار المدن المقدسة التي ترجع إلى ثلاثينيات القرن المنصرم. إنَ التغييرات كانت ولا زالت تعود بالنفع إلى أصحابها فبعد أنْ تم هدم الأسوار فتحت شوارع في المدن، وتقدم أكثر أصحاب الأراضي المطلة على الشوارع بفتح محال تجارية ومطاعم، ثم تطور الحال إلى بناء فنادق بارتفاعات شاهقة تجاوزت خط سماء العتبات المقدسة وأصبحت منائر وقباب العتبات بالكاد ترى عن بعد. ان هذا النوع من التغييرات بات سلباً على مجمل مدنها من الناحية الحضرية والعمرانية وأفقد سمة هيمنة العتبات في حواضر مدنها. هذا التغيير أضاف مجموعة من الخدمات في المدينة التي أدت إلى خنقها وشكلت عقد وفضاءات زحام كتلية إنشائية وزحام بشري.

كما يعتقد [13] إنّ مبدآ التغيير يرتبط بمفهوم البنية الاجتماعية (Structure) التي تعني منظومة من العلاقات الثابتة في إطار بعض التحولات، وما تتميز به البنية ليس ثباتها، بل كونها تخضع لمعياري الثابت والمتحول تزامنيًّا (Synchronique) وزمانيًّا (Diachronique)". إنَ تفاعل القيم مع الأشكال يمكن دراستهما عن طريق حالتين:

الحالة الأولى: (The first case Synchronique): هي رؤية هذا التفاعل تزامنيًّا، أي فهم الكيفية التي ارتبطت بها القيم مع الأشكال العمرانية المحتملة وكيف تبدلت هذه الأشكال عبر الزمن.

الحالة الثانية: (The second case Diachronique): فهي رؤية التفاعل بين القيّم الاجتماعية والأشكال العمرانية في حقبة زمنية محددة **[13، ص12-13]. إنّ هذه العوامل من التغييرات تخلق التنوع في العمارة الإسلامية، وعلى طول خطها الزمني، الذي يعدّ حالة تطويرية تبلغها العمارة بشكل نمو تراكمي لأسباب تفرض نفسها لظروف موضوعية تمثل الزمان والمكان والتأثيرات الحضارية واستجابته للواقع الذي يعبر عن نفسه، "علماً أنّ هذا التنوع في الشكل والثبات في المضمون هو غنى للعمارة"، وإنّ حقيقة هذا التنوع لا ينبغي أن تتحرك بعيدا عن مجمل أصول الفكر الإسلامي الذي منه أستمد.**

جدول (2) يوضح المتغيرات العمارة الإسلامية والمفردة المتحققة

متغيرات العمارة الإسلامية	المؤثر	مفردات متحققة في مضمون الشكل الفزيائي لوجود المؤثر المتغير
متغيرات معمارية تخص العمارة في وظيفتها ومظهرها والمواد المكونة لها.	تؤثر المتغيرات في الشكل الفزيائي	تحديد الأشكال الفراغية والحجمية للعناصر
		وتحديد العلاقات المكانية والفراغية
		المواد المحلية وطرق الإنشاء
		عمارة للبيئة وترتكز على مضامين إسلامية
متغيرات اجتماعية يتغير المجتمع وتتغير معه العادات والتقاليد.		البساطة وعدم المبالغة مع ضمان حفظ الخصوصيات وتحقيق التفاعل الاجتماعي
		فضاء مناسب الفعاليات قاعات رياضية وساحات للنشاطات الدينية والعقائدية
		وجود هوية معمارية
متغيرات ثقافية تتغير الثقافة ونوعها وأسلوبها.		البيئة الحضرية هي مسرح التفاعل بين الأنسان والمكان
		الشكل الظاهري وهو مجموعة العناصر، والأشكال، والعلاقات
متغيرات سياسية فلكل فتره		الضَمني الدلالي ويشمل كل الدلائل المقصودة المرسلة إلى المتلقي
		الغرض النفعي والوظيفي للمبنى والذي يخدم الإنسان

هنالك تغير سياسي.		**البيئة تفرض نفسها في عملية تشكلها بيئية جمالية سكنية**
		العمل الفني في العمارة يتضمن، أخلاق، فلسفة، اجتماع، سياسة، دين
متغيرات اقتصادية هي الأخرى		**تغير تطويري واستعمالات الأرض**
في حالة من التغير المستمر.		**ارتباط القيم مع الأشكال تغيرها عبر الزمن**
		ارتباط القيم مع الأشكال وتغيرها في حقبة زمنية محددة

المصدر: ترتيب الباحث حسب الدراسات السابقة.

يمكن القول: إنَ ثوابت العمارة الإسلامية ومتغيراتها تدخل ضمن عمارة العتبات المقدسة التي هي جزء من عمارة المسلمين ووظيفتها تفوق حتى وظيفية المساجد لما لها مجال أوسع من وظيفية المساجد بشكل عام إذ يمكن أنْ تؤدي العتبات المقدسة دور المسجد إنْ وجد فيها أو لم يوجد، ولا يمكن أنْ يؤدي المسجد دور العتبات المقدسة، لما له أحكام خاصه بالمسجدية وهي أحكام فقهية. تبين مما تقدم أنَ المبنى يعد ناجعا إذا أدى وظيفته بإتقان لما له التأثير المباشر على سلوك الإنسان ومن هنا ظهر الترابط، والاهتمام بدراسة المؤثرات الخارجية على السلوك. وكما أشار [21] أنَ السلوك يعني أي نشاط يصدر عن الإنسان تلقائيا، ذهنياً كان أم بشكل حركي، وهي عبارة عن استجابات مختلفة مقابل أو أزاء مثيرات معينة [21، ص2–6]. أما عن طريق علم النفس التجريبي(1)، الذي يعتقد أنَ ما في الخارج يؤثر، فقد يحد أو يشجع على السلوك، ويختلف هذا التأثير من موقف لآخر، ولذلك دأب الإنسان لتحسين الفضاء من حوله لإدراكه بتأثيرها عليه، فقد تناول المؤتمر الأوربي للفضاءات الخارجية تعريف تلك الفضاءات على أنها المساحة المدركة من قبل المتلقي والتي تكون نتيجة فعل وردة الفعل بين الإنسان والفضاء المصنع من قبل الإنسان[22،p,3] وكما أشارت لذلك [23] في دراستها، وذكرت من أنَ الفضاءات من حولنا تعكس أثرها سلباً أو إيجاباً. علاوة على ذلك نهضت دراسات ميدانية استهدفت معرفة تأثير الفضاءات على سكان المدن، وكذلك أثر التعرض للضوضاء، وأثر الطاقة أو المستوى الإشعاعي والمتغيرات الفيزيائية والكيمائية التي تحدث في محيط الإنسان، فالفضاء الفيزيائي إما أن يشعرنا بالراحة والسعادة والاسترخاء والرضا والمتعة والصحة، أو يشعرنا بالضيق والتعب والإرهاق، كما يحدث عندما نتعرض للحرارة الشديدة أو الرطوبة أو الضوضاء أو الزحام الشديد أو البرودة الزائدة وكل لهذه تأثير مباشر على السلوك [23، ص3–43]. أما قوانين الجاشطالت: أول هذه القوانين هو قانون الشكل الحسن فعند إدراكنا لموضوع ما، فان حواسنا تميل لأنظمته بحيث يكون الجاشطالت الخاص به ذا انتظام وتماثل وبساطة، فاذا كان به بعض الشواذ، فانه يسوى ويجعل في صورة عادية، وتتم هذه العملية بمساعدة مبدأ الاعتياد، أو بطريقة (set) تجعلنا نراه بطريقة معينة، وقد تفرع من هذا القانون الخاص بالشكل الحسن أربعة قوانين هي:

1- التماثل(similarity)

2- التقارب(proximity)

3- الإغلاق(closer)

4- الاستمرار الحسن (good continuation) **[24، ص42– 45]** وهي العمليات الشعورية الداخلية التي لا يمكن دراستها علميان لأنَها غير قابلة للملاحظة، وبالتالي لا يمكن تحديد أو فرض شيء من بعض السلوكيات الخارجية على شخصية الإنسان، لكن المحيط الخارجي أو البيئة التي هو فيها تفرض علية مثيرات يستجب لها، مما يؤدي إلى إمكانية فهمه لها، و وجد أنّ البيئة والظروف إلى جانب الصفات الشخصية للإنسان مع القياس على ماضيه هي مؤشرات تحدد سلوكه بشكل نسبي وليس كلياً فضلاً عن ظروفه الشخصية والاجتماعية والاقتصادية حيث يتلخص مبدأ النظرية السلوكية، (المحيط يوفر مجموعة من المثيرات التي تنبه الكائن الحي لإحداث استجابة ما، و بذلك فإنَ هناك استجابة فورية من نوع ما، و عليه فأنَ هناك حتمية بين المثير والاستجابة). وبناءً على هذه القيم تم الاهتمام بالمؤثرات الخارجية لأنَ لها التأثير المباشر على السلوكية. **[24، ص 56].**

نستنتج مما تقدم من أنَ الفضاء الخارجي للنسج المتاخم لعمارة العتبات المقدسة يؤثر بشكل وآخر على نفسية الزائر من حيث المسارات وعدم تأهيلها وتأثيثها بما يتطلب كمسار للمشاة، بل أنَ كل ما موجود في المسارات المؤدية إلى العتبات هي ملوثات بصرية، وسمعية، وباعة متجاوزين على الأرصفة المعدة لخدمة الزائر، وباعة متجولين، وزحام شديد وتقاطع في

(1) صدور دوريات متخصصة في مجال شؤون البيئة والسلوك منذ العام (1982م)، إلى جانب تأسس هيئات علمية عالمية وإقليمية تهتم بالبحث السيكولوجي في مجال البيئة حسب مصدر green line(شبكة النت2017)

الحركة إذ إنَ الزائرين القادم ين إلى الزيارة يكون بحالة اصطدام مع الراجع من الزائرين، كذلك فإنَ التجمعات حول الباعة المتجولين والمتجاوزين يخلق حالة من الزحام والاكتظاظ . إنَ للفعاليات التي يقيمها الزائرين أو مواكب التشييع أو العوائل الكبيرة القادمة إلى الزيارة فضلا عن الأفراد الأخرين في المسارات المؤدية إلى العتبات تخلق حالة زحام واكتظاظ كبير كون أنَ هذه المسارات لم تصمم لهذه الفعاليات

العتبة العلوية المقدسة انموذجا:

إنَ العتبة العلوية هي واحدة من مدن العتبات المقدسة منذ إنْ سجيَ فيها جسد الإمام علي (ع) في العام (40هـ–660م)، وهي تقع إلى الغرب من العراق، فهي تقع عند أقصر الطرق الموصلة ما بين السهل الرسوبي الخصب من ناحية والهضبة الغربية والجزيرة العربية من ناحية أخرى، وموقعها الجانبي هذا جعلها تستقبل الطرق التي تؤدي اليها من جهتها الشرقية حصراً، مما أفقدها المزايا التي تتمتع بها المدن ذات المواقع المركزية، وهو أيضا جعلها مفتوحة نحو الصحراء. إذ تعد منفذاً مهماً لا ينافسها عليه منفذاً اخر [25، ص58]. أما موقع العتبة العلوية المقدسة فهي تقع في وسط ربوات ثلاث كما في الشكل (1). مرت العتبة بمراحل عديده منذ أنْ تم إعلان الإمام الصادق(ع) عنها وإظهارها وبناء تحويطة أو دكه لها فتحتان واحدة من جهة الشمال والأخرى من جهة الشرق وذلك في عام (132هـ – 749م) إلى يومنا هذا.. إنَ المراحل التي مرت هي مراحل تغيير وتطوير ولكن ضمن الخطة التي وضعها الإمام الصادق (ع)، وما صرح بعدها حول هيأه وشكل التصميم العام لهندسة عمارة العتبة العلوية المقدسة وهذا يعد بحق مؤشر معماري للمؤسس الأول لها وواضع لبنتها الأولى، (ع). المزيد [26،Ch ،6، ص163–164]

شكل (1) يوضح الحالة الطبوغرافية للنسيج حيث يظهر ان العتبة تقع بين ربوات ثلاث ذات اللون الأحمر وهي جبل الطور وجبل شرف شاه من الجهة الشمالية وجبل الحويش من الجهة الجنوبية الغربية. المصد ر : مع تعليق الباحث التخطيط العمراني (لمدينة النجف الاشرف2011، ص195).

نبذة عن مشاريع التصميم الأساس لمدينة النجف ونسيجها القديم:

لقد اقتصرت أعمال السلطات البلدية في مدينة النجف على فتح طرق تعامدية اخترقت النسيج المتضام للمدينة استناداً إلى الحاجة الأنية، وانتهى الأمر بفتح فضاء حول العتبة العلوية المقدسة الذي أفقد المدينة مفهومها العضوي وتشكيلها المتضام الذي تتميز به سائر المدن الإسلامية القديمة. مما أدَى إلى دخول المدينة مرحلة جديدة من التغيير الحضري والعمراني مع ازدياد أعداد الزائرين والساكنين والمهاجرين في ذلك الوقت كما في الشكل (2)، الذي يوضح المراحل التي مرت بالنسيج من السور وحتى جدار العتبة الخارجي، والذي حدا بالسلطات المحلية إلى الاستعانة بمجلس الإعمار، والذي بدوره استعان بمؤسسات استشارية عالمية لغرض تقديم دراسات ومشاريع لتطوير المدينة، إذ عملت أربعة مؤسسات أو شركات استشارية في تطوير المدينة القديمة والمرقد العلوي المقدس وتوفير الخدمات والفعاليات التجارية اللازمة للزوار ولسكان المدينة في الفترة التي تلت هدم السور عام (1938م) وما تبعة من توسع وتمدد للمدينة إلى خارج سورها. وهي الأول: مقترح دوكسياديس 1958 Doxiadis. الثاني: مقترح هيئة التخطيط العمراني (1979م). الثالث: مقترح هيأه التخطيط العمراني(1986م). الرابع: مقترح رؤوف الأنصاري (2007م). الخامس: مقترح المديرية العامة للتخطيط العمراني في النجف الأشرف (2010–2011م). السادس: مقترح تطوير مرقد الإمام علي

(ع) والمعد من قبل جامعة الشهيد بهشتي في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بالتعاون مع مكتب المصمم المعماري (2009م).. للمزيد [Ch،26 ،6، ص163–203]

العتبة مع توسعها الأخير:

على الرغم من أن العتبة العلوية تشهد منذ (2003م إلى عام 2018م) تغييراً تجديداً واضحاً وتوسعاً استيعابياً، ولكن بسبب تزايد الزائرين يطرح سؤال: هل ما زالت الحاجة قائمة للاهتمام بحركة وسلامة الزائرين وانسيابيهم ورفع المعاناة واستيعاب الأعداد غير المتوقعة. على الرغم من توسع العتبة لاستيعاب الكثافة المتزايدة للزائرين، فهي مازالت تقرأ لنا زحاما واكتظاظا ملحوظاً حتى خارج منطقة النسيج أثناء الزيارات المخصوصة، كما أثبتته الإحصائيات وكما تبين للباحث من طريق الدراسة الميدانية والتي اعتمدت تحليل النتائج المستقاة من طرق وأساليب الاستبيان النوعية والكمية والمتمثلة بالمقابلات والاستمارة الاستبانية والملاحظة المباشرة والمسح الميداني، ودراسة الحالة المماثلة أضافة إلى الدراسات والمشاريع المقدمة من قبل الشركات الاستشارية، والتي تم مناقشتها في متن الأطروحة، ومنها شركة دوكسيادس والمديرية العامة للتخطيط العمراني ولوين دفر ورؤوف الأنصاري ومدرية التخطيط العمراني في النجف الأشرف، ومقترحات جامعة الشهيد بهشتي.

لقد تم تحليل وفرز ومناقشة نتائج واستنادا لما تقدم أعلاه إلى أربعة مستويات. أولا: تأثير مفهوم القدسية والمقدس في استقطاب الزائرين، وثانياً: العلاقة الفضائية والحجمية بين أعداد الزائرين وتطور عمارة العتبة والنسيج المتاخم، وثالثا: تأثير سلوك الزائرين وفعالياتهم وطقوسهم الاجتماعية والثقافية والدينية في تطور عمارة العتبة والنسيج بما يلبي حاجات ومتطلبات الزائرين، رابعاً: المرقد العلوي باعتباره عقده سياحية دينية وتأثيرها في أعداد الزائرين

شكل هذا الشكل يوضح محور السوق الكبير قبل هدم السور.

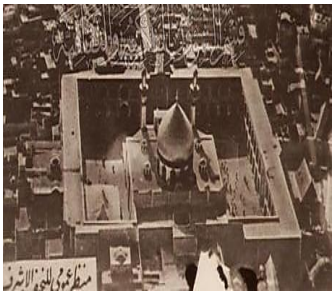

شكل يوضح عموم النسيج والتصاقه بجدار العتبة. المصدر: موقع العتبة 2018

شكل يوضح فتح اربعة محاور شارع الصدق وزين العابدين (ع) من جهة الشرق وشارع الرسول من جهةالجنوب وشارع الطوسي من جهة الشمال امتداد شارع الصادق (ع) من الشرق الى الغرب :

شكل (2) يوضح المراحل التي مرت بالنسيج الحضري منذ عام (1938م–2003م). المصدر : مديرية التخطيط العمراني محافظة النجف الأشرف

المستوى الأول: تأثير مفهوم القدسية والمقدس في استقطاب الزائرين.

الشكل والمضمون في عمارة العتبة العلوية المقدسة:

يلعب الشكل في العمارة دوراً كبيراً في إبراز وتجسيد مفهوم المبنى وقيمه الكامنة وهو تعبير صادق عن ماهية المكان وأبعاده الاجتماعية والثقافية والدينية في عمارة العتبات المقدسة بشكل عام والعتبة العلوية المقدسة على وجه الخصوص. ولقد تناول البحث مفهوم القداسة والمقدس بأبعادها الشخصية والمكانية والروحانية. وقد بينت الدراسة النظرية أنَ قدسية الإمام علي (ع) كان لها الأثر الكبير في أبراز وتجسيد مفهوم قدسية المكان الذي يضم الضريح ولهذه القدسية أبعادها وتأثيراتها الروحية والعقائدية على الشكل الفيزيائي للمكان والمبنى. كما كان لها البعد المعماري في تطور مدينة النجف واتسامها بتعبير "المقدسة" ضمن المدن العراقية والعالمية. ولأثر شخصية الإمام علي (ع) وقدسيته استناداً إلى الكثير من المصادر والآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة في فضائله، فلقد أهتم المسلمون والحكومات الإسلامية المتعاقبة في العناية المعمارية الخاصة بشكل وكتلة والتفاصيل الخارجية الفنية والتشكيلة والإبداعية للمرقد المقدس. ولقد أدرك الباحث عن طريق ملاحظته الميدانية ومقابلته مع ذوي الاختصاص أن هنالك مصادر تنموية كبيره جداً تخصص سنويا لتطوير عمارة العتبة. إذ ذكر أحد المختصين في العتبة أثناء المقابلة وفيما يخص تغيير شكل وتصميم بعض الأعمدة الموجودة في رواق أبو طالب وعند التساؤل عن المبالغ التي يحتاجها هذا التغيير، فلقد ذكر: (إنَ هنالك ما يكفي من المبالغ التي تغطي ذلك). وفي التساؤل عما إذا كانت " قدسية شخصية الإمام علي (ع) لها تأثير في تطور عمارة العتبة وازدياد أعداد الزائرين؟"، فلقد أكد (85.1%) من أفراد شريحة الاستبانة أن الإمام علي (ع) وقدسية وشخصيته تشكل السبب الرئيسي في أبراز شكل المرقد وتطوره معمارياً وحضرياً، وفي ازدياد الأعداد. فيما أوعز (11.6%) من أفراد الشريحة المستبينة أن استقطاب الزائرين وأعدادهم يحمل خلفيات ومعايير مهمة وكثيره، علاوة على قدسية المكان بالنسيج القديم المحيط.

كما أكدت نتائج الاستبانة والمقابلات والملاحظة الشخصية لسلوك الزائرين وتعبيراتهم اللفظية عند الوصول أمام المرقد المقدس وحالة الانبهار الروحاني بالتنظيم التشكيلي والفني والإبداعي للمرقد، إنَ العناصر التشكيلية والزخرفية والمواد المستعملة الباهضة الثمن جميعها، التي تشكل بنية الضريح ومظهره الخارجي، تعد غيضاً من فيض مما تستحقه شخصية أمير المؤمنين (ع) وقدسيته ومكانته في العالم الإسلامي. لذا لحظ الباحث عدم تردد كافة الزائرين بغض النظر عن إمكانياتهم الاقتصادية في التبرع ولو بشيء بسيط لتطوير المرقد، وهذا ما أكدته نتائج الدراسة العملية.

كما أكدت المصادر المعمارية والتاريخية على أنَ عمارة العتبة العلوية المقدسة وشكلها الخارجي ومعالجاتها التصميمية والزخرفية تستند إلى العمارة المحلية العراقية "الطراز العباسي". إذ يحمل هذا النمط ميزات وخصوصيات معمارية وتشكيلية ومحليه تميزه عن باقي أنماط العمارة الإسلامية، وهو ما تجسده عمارة العتبة العلوية المقدسة.

تحدد البيئة الفضائية والمبنية الأفراد المستخدمين وسلوكياتهم ونشاطاتهم وطبيعة علاقاتهم بما يخلق نوع من التكامل المتبادل في العلاقة بين الفرد والبيئة. هذه العلاقة التبادلية تعكس علاقة الثقافة مع البيئة المحيطة. واستنادا إلى [1996,p467 ،27] فأنظمة العلاقة بين الفرد والبيئة تمنح الحياة إلى الشكل البنائي والذي بدوره يمنح المستخدمين حياة اجتماعية نشطه. هذه العلاقة تم ترجمتها إلى علاقة البيئة– السلوك في تأثير كل منهما على الأخر. وفي التساؤل عن تأثير قدسية شخصية الإمام (ع)، فأنَ الأخيرة تؤثر بشكل رئيس على الفرد وحركته، وطبيعة النشاطات والطقوس الروحية بما يدخل الفرد في جو من الروحانية والهيام العاطفي كما في الشكل (3). ومن ناحية أخرى، فأنَ شكل وفضاءات وتصميم المرقد العلوي المقدس قد تطور تاريخياً استناداً إلى معايير تصميمية ترتبط بعمارة المراقد المقدسة وطرزها. وبالتالي فإنَ العلاقة بين الفرد والمرقد هي علاقة باتجاه واحد يفرضها شكل وتكوين المرقد على الزائر، والذي بالمقابل عليه الانصياع الكامل وتحت سيطرة قدسية المكان وشخصية الإمام علي (ع)، علاوة على الطقوس الروحانية التي تفرضها الزيارة لاستكمال مراسيمها، وهذا ما أكدته نتائج المقابلات مع العديد من المختصين في العتبة والمهندسين المعماريين. وفي تساؤل الباحث عما إذا كان " الزائر هو السبب الرئيس في تغيير شكل وتصميم عمارة العتبة "، فان (81,8%) من أفراد شريحة الاستبانة أكدوا أنَ المرقد العلوي الشريف يؤثر في الزائر وسلوكه وفعالياته وليس العكس. وبالتالي لاحظ الباحث في مقابلاته مع عموم الزائرين أنَ هنالك انتقادات بما يخص القدرة الاستيعابية للمرقد المقدس والكثير من التطورات التي تحصل في الوقت الحاضر من قبل العتبة، أو التي وجهت إلى الشعبة الهندسية في العتبة الحسينة والعتبة العباسية عند قرار تغطية صحن المرقدين المقدسين. لذا انصبت المقترحات التصميمية جميعها من قبل الشركات المحلية والعالمية، والتي تم ذكرها أعلاه، في محيط العتبة العلوية المقدسة ونسيجها المتاخم من دون المساس بالتصميم الفضائي للمرقد العلوي

المقدس، فيما عدا الربط بينه وبين رواق أبو طالب وتوسعة صحن الزهراء (ع)، اللذان يمثلان أضافة فضائية وليس تغيير فضائي في عمارة العتبة، علاوة على التغييرات في الإنهاءات الخارجية.

شكل (3) يوضح التأثير الروحي بين المقدس والزائر. المصدر: موقع العتبة العلوية2018

الخصوصية كمعيار تصميمي في عمارة العتبة ونسيجها المتاخم:

تتميز المدن الإسلامية بشكل عام بخصوصية معمارية متفردة متمثلة، كما تم تناوله سابقا، في نسيجها العضوي ومساراتها المتعرجة وأسواقها وانفتاحها نحو النواة المركزية المتمثلة بالجامع والصحن المفتوح. ولقد فرضت هذه الخصوصية قيود ومواصفات خاصة عند محاولة تغيير أو تطوير أو تجديد نسيجها المتشابك. وتشتمل المدينة القديمة على أنواع مختلفة من الخصوصية منها الاجتماعية والثقافية والمعمارية والتخطيطية وغيرها. ومدينة النجف الأشرف، كسائر المدن الإسلامية الدينية، تتفرد بخصوصيتها العالية وباحتضانها لمرقد الإمام علي (ع) وبما يحمله ويفرضه من أبعاد اجتماعية وثقافية ودينية وسلوكية على الزائر أو المستعمل والتي يجب أنْ تؤخذ بالحسبان لحساسيتها الشديدة عند محاولة تغيير نسيجها العمراني أو أية تطويرات أخر. ومن دراستنا وتحليلينا للمقترحات التصميمية المقدمة من الشركات العالمية والمحلية، نرى أنَ أكثرهذه المشاريع لم تراعِ هذا الجانب، على الرغم من فلسفتها التصميمية القائمة على أساس الحفاظ وتجسيد الخصوصية، بأنماطها كافةً، والتوقف بين ما هو جديد وبين ما هو قائم من نسيج عضوي متداخل من جهةٍ أخرى. فمقترحي رؤوف الأنصاري ومديرية التخطيط العمراني في النجف، ركزا على أهمية الخصوصية المعمارية ومحاولة الحفاظ على الأبنية التراثية من جانب، فيما تركزت مقترحاتهم التصميمية، فيما يخص منطقة السوق الكبير والنسيج المتاخم على سبيل المثال، على هدم هذه المنطقة واستحداث أسواق جديده، بالنسبة لمقترح رؤوف الأنصاري، أو توسعة السوق وإعادة بناء جانبيه بمبان تقتبس بعض العناصر التشكيلية القديمة في مظهرها الخارجي. وهذا ما يقف بالضد مما تنادي به رؤية وفلسفة أكثر الشركات المستثمرة المحلية منها والعالمية.

ومن الملاحظة الميدانية المباشرة والسير خلال أزقة المدينة القديمة، لحظ الباحث أنَ هنالك العديد من التغييرات الشكلية والبنائية في نسيج المدينة، عن طريق هدم المباني التقليدية القائمة وتشييد مباني معاصرة لا تمت بصلة إلى الطابع العمراني للنسيج القديم. وهذه الممارسات الفردية نتيجة عدم وجود ضوابط ومعايير هندسية فيما يخص الأنسجة التقليدية أو محاولة التلاعب بهذه المعايير، إن وجدت، في ظل غياب القانون أو المحاسبة الرقابية أو تفشي الفساد الإداري والمالي بعد العام(2003م). هذه التصرفات الشخصية غير المدروسة أدت إلى تمزق نسيج المدينة وتلوثه بصرياً ومعمارياً. وفي التساؤل عن الاستثمارات المحلية والعالمية في النسيج المتاخم تصب في تطوير العتبة أو الكسب الخاص؟ فأن (72.4%) يصب في الصالح الخاص وليس للعتبة، ومن طريق التساؤل هل هدم النسيج المتاخم للعتبة يعزز هيمنة وتفرد الضريح؟ فأن (69.1%) يصب في تعزيز هيمنة العتبة العلوية المقدسة، وفي التساؤل عما إذا كانت هنالك أية معايير أو ضوابط هندسية تأخذ بنظر الاعتبار الخصوصية المعمارية والتخطيطية للمدينة عند أي تغيير فيزيائي أو تطوير عمراني للنسيج المتاخم للمرقد، أكد العديد من المختصين من المعماريين والمخططين على وجود مثل هذه الضوابط، إلا أنَه لم يتم تحديثها أو تفعيلها، وأكثر من ذلك، تم التلاعب عليها للمصلحة الشخصية. ولقد لحظ الباحث أنَ سلم الدخول إلى أحد المباني الجديدة ضمن النسيج القديم قد تم تسقيطه في الزقاق مما أثر فضائياً وحجمياً على زقاق المدينة، الذي يمثل شريان الحركة الرئيسة. ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أنَ هنالك (24) فندقاً ومطعماً في داخل الأزقة وهي تشكل حالة خطر على سلامة ساكنيها، بسب نوع التغليف الخارجي المتمثل بمادة (الأليكابوند) ومادة الفلين المستخدمة في التغليف الداخلي للجدران

وللسقوف الثانوية وهي مواد خطرة كونها سريعة الاشتعال، فضلاً عن ذلك فأنَ فرق الدفاع المدني في تقريريها تعاني من عدم وصولها إلى هذه الفنادق حين تتعرض إلى حادث مما يتسبب بالمزيد من خطورة الموقف، (2) وقد تم استحداث هذه الفنادق ضمن النسيج التقليدي القديم للمدينة، ولم تراعِ فيها الخصوصية المعمارية والثقافية للمدينة القديمة .

المستوى الثاني: العلاقة الفضائية والحجمية بين أعداد الزائرين وتطور عمارة العتبة والنسيج المتاخم.

١- الزحام بوصفه معيار تصميمي:

استنادا إلى ما تم تناوله في الإطار النظري فيما يخص أعداد الزائرين وتأثير الزحام في حركة وسلوك الزائرين وما يتبعه من تأثيرات سلبية على الزائر، متمثلة في حالات الإصابة الكثيرة والحوادث المتعددة، والتي لاحظها الباحث ميدانياً عند أقامته في مدينة النجف الأشرف، أو ما أكدته، علاوة على ذلك، نتائج المقابلات مع المختصين من العتبة أو الجهات الصحية أو الأمنية أو الزائرين. وعند التساؤل عن التحديات التي تواجه أفراد العتبة والجهات الأمنية والصحية؟ نرى أنَ (91.6%) من هذه الشريحة أكدت أنَ أعداد الزائرين والزحامات والاختناقات هي المشكلة الرئيسة التي تواجههم. وقبيل كل زيارة، ينعكف المختصون في العتبة إلى دراسة الحلول والإجراءات التي يمكن اتخاذها لغرض تسهيل حركة الزائرين وأدائهم لطقوس الزيارة والفعاليات الاجتماعية في العتبة والمسارات المؤدية والمتاخمة لها، إلا أنَ، وبحسب ما أكَده أحد أفراد العينة، هذه الحلول جميعها هي حلول وقتية تشوبها الكثير من الأخطاء والتي، في كثير من الأحيان، تقف عاجزه عن الإحاطة أو السيطرة على الزحامات. كما وجد الباحث، أثناء مقابلة الزائرين والتساؤل عن ضرورة خلق فضاءات جديده، إنَ هنالك حاجه ماسه ونداءات كثيره تطالب بضرورة استحداث وخلق فضاءات حضرية جديده ومسقفات ومسارات واسعة لاستيعاب الزائرين بكافة فعالياتهم.

عند تحليل ودراسة أو تصميم أي مشروع معماري، يعتمد المصمم بشكل رئيس على أعداد المستخدمين كأحد المعايير في تشكيل الفضاءات الداخلية والخارجية للمبنى. أما في الأماكن المقدسة بشكل عام والمرقد العلوي الشريف على وجه الخصوص، فأعداد الزائرين وسلوكياتهم ونشاطاتهم الدينية والشعائرية تعد المعيار الرئيس في أي تغيير محتمل أو تطوير ضمن فضاء العتبة أو نسيجها المتاخم. وفي التساؤل عن الازدحامات الزائرين هل هي على طول السنة ام فقط في المناسبات؟ فقد أكدت شريحة المستجوبين (59.3%) أنَ الازدحام مستمر على طول السنة كون أنَ المناسبات هي دينية بالأساس.

إنَ عمارة العتبة المصممة منذ أكثر من (400) عام، لم تعد، بحجمها وفضاءاتها، قادرة على استيعاب أعداد الزائرين. ذلك أدى إلى مرور العتبة بتوسعات عدة تضمنت أضافة وتطوير صحون وأروقة ومسقفات لغرض استيعاب أعداد الزائرين وأداء وظيفتها. وأمام هذه الأعداد التسونامية، واجهت عمارة العتبة والنسيج اختناقات كبيرة وإصابات وحالات موت هددت سلامة الأفراد في الزيارات المخصوصة. لم يقتصر الاختناق على عمارة العتبة بل نسيجها الحضري المتاخم والذي لم يترك المجال لتوفير مساحات وفضاءات للتجمع والجلوس والارتياح أو ممارسة الفعاليات الاجتماعية والدينية. ولقد تناولت الكثير من الدراسات الحد الأقصى لعدد الأفراد ضمن المتر المربع الواحد (4-3) أشخاص، [28]، والذي هو أقل بكثير من عدد الزائرين ضمن المتر المربع الواحد في الزيارات والمناسبات الدينية، حيث تبين المسح الميداني لزيارات نهاية الأسبوع اكتظاظ منطقة الضريح بأكثر من (خمسة أشخاص بالمتر المربع الواحد) ومنطقة الصحون (2-3) شخص بالمتر المربع الواحد، أما في المناسبات الخاصة فأنَ التكدس والاكتظاظات داخل العتبة وتمد الاكتظاظات إلى مسارات النسيج المتاخم. إنَ زحام الحشود في الزيارات المخصوصة يصل إلى معيار الخطر في نمطي الزحام، المتحرك والساكن مما أدى إلى حالات كثيره من الاختناقات والإصابات الخطيرة والتي جعلت من معيار الزحام وفك الاختناق المتطلب الرئيسي في التطورات المعمارية والتخطيطية. ذلك يستلزم النظر إلى هذه المستجدات بصورة جدية لغرض معرفة المساحة اللازمة لاستيعابهم وسلامتهم بوصفه أحد مستلزمات السلامة ونجاح أداء وظيفة عمارة العتبة.

([2]) كتاب مديرية الدفاع المدني /معاونيه الإطفاء والسلامة / قسم الوقاية والسلامة الصناعية المرقم (382/13307) في (2016/8/31م) المعطوف على كتاب وزارة الداخلية والأمن الاتحادي (خ/559/8 في 2016/8/15م).

ب- البعد التنظيمي بين العقد الفضائية وتقاطع حركة الزائرين:

تجسد المدينة الإسلامية القديمة بتنظيمها الفضائي توزيع وانتقال متفرد للفضاءات من شبه الخاص إلى شبه العام ثم العام المتمثل بصحن الجامع. كما ان نقاط التقاء مسارات الحركة في نسيج المدينة القديم والمتمثلة في الأزقة والدرابين، تخلق فضاءات أوسع تدعى بالفضوات والتي تختلف بحجمها ومساحتها وبعدها المكاني بشكل تدريجي مع طبيعة مسارات الحركة وأعداد المستخدمين والفعاليات والأنشطة التي يمكن ان تحتضنها. بالتالي نرى أن سيولة وانسيابية تيارات الحركة ضمن هذه الفضوات مدروسة بشكل منظم لا تتقاطع مع بعضها بعض الآخر.

وعند الانتقال إلى محاور الحركة الرئيسة في مدينة النجف الأشرف والفضاءات المتاخمة للمرقد العلوي المقدس، نرى غياب هذا البعد التنظيمي التدريجي في مسارات الحركة والعقد الفضائية الناتجة عن التقائها مع بعضها البعض. الأمر الذي أدى إلى حدوث المزيد من الزحامات ومن ثم الحوادث والإصابات ضمن هذه الفضاءات. ولقد حاولت بعض الدراسات والمقترحات التصميمية المقدمة من الشركات التي تم تحليلها سابقاً استخدام هذا البعد التصميمي كما في دراسة المديرية العامة للتخطيط العمراني في النجف الأشرف، أو مقترح رؤوف الأنصاري وغيرهم، إلا أنهم أخفقوا، استنادا إلى رؤية بعض المختصين من المعماريين والمخططين أثناء المقابلات الميدانية، في خلق نوع من التدرج الوظيفي من محيط المدينة إلى فضاء المرقد العلوي المقدس، كإشارة إلى تدرج أعداد الزائرين وتعزيز هيبة وهيمنة الضريح والمشهد الحضري للمدينة. من جانب اخر يرتبط نمط وطبيعة الفعاليات الاجتماعية والثقافية والدينية، استنادا إلى رؤية أحد المعماريين الذين تم مقابلتهم، بالبعد الفضائي والحجمي لهذه العقد، وتمنح الجهات الإدارية المختصة القدرة والإمكانية على توزيع هذه الفعاليات وتنظيمها بأسلوب يخفف من حدة الزحامات ويقلص الاختناقات ويلبي في الوقت ذاته حاجات ومتطلبات الزائرين. وفي التساؤل عن هل مسارات الحركة المؤدية إلى الضريح مناسبة لتحقيق عنصر الوصولية والتكامل مع المعالم المختلفة المحيطة بالضريح؟ فقد أكَد شريحة الاستبانة من عموم الزائرين ان (65.5%) بلا، في حين أكَد آخرون بنسبة (23.6%) بنعم وجلهم من الساكنين أو المنتفعين الذين يعرفون المدينة جيداً.

ج- التباين الشكلي والفضائي في النسيج المتاخم:

تشكل مدينة النجف الأشرف القديمة بنسيجها المتراص والعضوي أنموذج متميز للمدن التقليدية القديمة. إلا أَن هذا النسيج قد تعرض في العقود الأخيرة من القرن العشرين وأوائل القرن الواحد والعشرين إلى مجموعه من التغيرات الشكلية والفيزيائية التي أثرت على التشكيل الفضائي لنسيج المدينة المحيط بالعتبة العلوية المقدسة، ومن هذه التغييرات فتح شوارع واسعة وهدم النسيج المتاخم لجدار العتبة كمحاوله لاستيعاب أعداد الزائرين. إلَا أنَ هذه التغييرات التي حصلت في بداية القرن الواحد والعشرين كان لها التأثير السلبي الكبير، ليس على شكل المدينة بل وعمارة العتبة العلوية أيضا، استنادا إلى ما أشار اليه العديد من ذي الاختصاص من المعماريين، من انتشار كتل بنائية بارتفاعات تفوق ارتفاع العتبة وبأشكال ومواد والوان بعيده عن واقع المدينة الديني وطراز العتبة الإسلامي ومن دون ارتكازها إلى أية ضوابط أو معايير تخص هذه المنطقة وحساسيتها من الناحية الدينية والعقائدية. وعن طريق المراقبة الميدانية والاستفسار الشخصي من العديد من فئات المجتمع، فقد أكد هؤلاء أن الهدم المتعمد من قبل المالكين لنسبة كبيرة من البيوت التقليدية، لغرض إقامة أو أنشاء مباني متعددة الطوابق من دون أية موافقات رسمية، كان مصير قسم من أبنية النسيج القديم. هذا الأخير يمكن ملاحظته في النسيج القديم للعديد من المدن التقليدية ومنها مدينة بغداد والحلة وغيرها من هدم متعمد ومدروس للموروث الحضاري القديم وإقامة كتل بنائية غريبة عن واقعها الحضري والعمراني، ومن دون أية دراسة تخطيطية لتطور المدينة وتشكيلها العمراني، نظرا لارتفاع سعر المتر المربع الواحد في مثل هذه الأماكن والمردود المادي الذي يرموا اليه المالك. ولقد تركزت الأبنية الحديثة على جانبي الشوارع الرئيسة كشارع الطوسي والرسول (ص) والسور وغيرها. إذ تجسد كل كتله بنائية طراز أو أسلوب، إنْ جاز التعبير بهذه التسمية، مختلف عن مجاوراتها كالمعزوفة الموسيقية التي ينشد فيها كل عازف لحن مناقضا للأخر من دون أية ضوابط معمارية أو تخطيطية أو فنية وبارتفاعات متناقضة ترسم صوره ملوثة للمشهد الحضري وتحجب الزائر عن رؤية الضريح وعمارته. وهذا ما أكدته عدد من الاستجوابات الشفوية المباشرة مع ذوي الاختصاص وأصحاب القرار إضافة إلى الملاحظة الميدانية، إذ تمنح هذه الصورة، استنادا إلى رؤية أحد المعماريين، الزائر نوع من الإرهاق البصري والحسي الذي يقوده إلى نوع من اللا استقرار أو التعب. وعند الحديث مع ذوي الاختصاص من المعماريين عن مصادر التلوث في نسيج المدينة، ذكر أحد المستجوبين ان اهم سمه من سمات التلوث البصري يمكن ملاحظتها بالتباين "القبيح" في ارتفاعات وكتل وشكل ومواد وألوان الأبنية الحديثة، وأنَ هذه الأبنية أصبحت غريبة وبعيده عن خصائص ومميزات العمارة التقليدية للنسيج

الحضري المتاخم، علاوة على الأسلاك الكهربائية ولوحات الإعلانات والنشرات الضوئية والباعة المتجولين والمتجاوزين وغيرها. كما أصبحت المدينة، استنادا إلى رؤية المعماريين والمراقبة الميدانية للباحث، متنوعة في تفاصيلها اشبه بالكولاج في التنوع والكثرة في التفاصيل والمعالجات غير المتناسقة أو اللا منسجمه مع الطراز المعماري والحضري للنسيج المتاخم أو عمارة العتبة العلوية المقدسة كما في شكل (5) يوضح التجاوزات. ولقد أعاد كثير من ذوي الاختصاص وأصحاب القرار أسباب هذه التصرفات وتم وصفها بالتصرفات الفردية غير مسؤولة في ضل غياب القانون الصارم والفساد الإداري، على الرغم من المحاولات الجادة والحقيقية للبعض في إيقاف هذه الممارسات أو معاقبة مستخدميها. وفي التساؤل عما "إذا كانت الأبنية الجديدة ضمن النسيج القديم متكاملة حسيا وبصريا مع عمارة العتبة العلوية والنسيج التقليدي القديم؟" فقد أجاب (73.8%) من عينة الاستبيان أنَ هذه الكتل البنائية غير متناسقة أو منسجمه مع عمارة الضريح والنسيج المتاخم علاوة على أنَها تشغل الناظر أو المتلقي عن المبادئ والقيم الروحية التي يفرضها المكان. فيما أجاب (17.5%) أنَها لا تؤثر على عمارة العتبة ونسيجها المتاخم. وعند التدقيق في النسبة الأخيرة وفي الشريحة التي أجابت بالنفي، تبين للباحث أنَ أكثر أفراد هذه الإجابة هم من الساكنين وأصحاب المحال التجارية والمطاعم والفنادق، مما يدل على تقديم المصلحة الفردية وتأثير المردود الاقتصادي لهذه الأبنية على مالكيها. ونلفت انتباه القارئ إلى الشكل (4) إذ يوضح بعض التجاوزات في محيط العتبة العلوية المقدسة لعدسة الباحث.

شكل (4) يوضح التجاوزات في نسيج محيط العتبة العلوية. المصدر: تجميع الباحث.

المستوى الثالث: تأثير سلوك الزائرين وفعالياتهم وطقوسهم الاجتماعية والثقافية والدينية في تطور عمارة العتبة والنسيج بما يلبي حاجات ومتطلبات الزائرين.

الطقوس الشعائرية كمحددات فضائية:

تناول الإطار النظري الطقوس الشعائرية بشكل عام، والتي درج عليها عموم الساكنين والزائرين. ولهذه الطقوس مكانة خاصة في المدينة المقدسة. ومن جملتها التشيع الجنائزي، الذي يخترق عادة شارع الطوسي ومنه إلى العتبة العلوية لأداء مراسيم الصلاة على المتوفي، ومن ثم الرجوع به إلى شارع الطوسي باتجاه مقبرة وادي السلام لغرض الدفن. عملية التشيع بحد ذاتها تأخذ حيزا فضائياً سواء في النسيج أم في داخل العتبة العلوية. إذ يتحرك المشيعون تاركين على جوانبهم زحاماً ملحوظاً. هذه المراسيم تشكل محدد فضائي يتحرك فيحرك ما حوله. ولهذا المحدد تأثير كبير في صياغة تشكيل النسيج الحضري المحيط، كما يأخذ حيزاً ملحوظاً من اهتمام خدمة العتبة من ناحية تسهيل مرور الجنائز وتوفير الفضاء لها. ليست مواكب التشيع وحدها تترك هذا الأثر، بل وعموم الزائرين القاصدين بشكل منتظم (حملات الزيارة). فهي الأخرى تشكل محدد فضائي في النسيج والعتبة. كذلك تجمعات العوائل الكبيرة القاصدة إلى زيارة العتبة، والتي تشكل أحد المحددات الفضائية، أضافه إلى المنظمات الطلابية والشبابية وحلقات تعليم قراءة القرآن الكريم، كما في الشكل (5)، والفاعليات المقامة من قبل العتبة العلوية بأشكاله كافة ومن ضمنها صلاة الجماعة. وفي التساؤل عما إذا كانت صلاة الجماعة والمحاضرات والنشاطات الثقافية داخل العتبة العلوية تسبب مزيدا من الازدحام؟، أجاب (93.1%) من أفراد شريحة الاستبانة إنَ ازدحام الزائرين يبلغ أشده في أوقات الصلاة، والتي تخلق، استناداً إلى الملاحظة الشخصية المباشرة، الكثير من الصدام بين الزائرين وموظفي العتبة. من جانب آخر، تشكل عربات نقل ذوي الاحتياجات الخاصة والبضائع ومركبات نقل الزائرين من محيط شارع السور إلى العتبة، بناءً على الملاحظة الميدانية المباشرة والمقابلة الشفوية مع العديد من الزائرين وموظفي العتبة، عائق وتخلق الكثير من الزحامات. ولضرورة هذا المحدد الفضائي، يرى أحد المختصين أثناء أحد المقابلات أنه من الواجب توفير مسارات خاصة لحركة هذه المركبات من والى العتبة. ومن الجدير بالملاحظة عدم تطرق أي من المشاريع المقترحة، والتي تم تناولها أعلاه، إلى أهمية هذا الجانب كمحدد فضائي في صياغة وتشكيل البيئة الحضرية المتاخمة للعتبة العلوية. وفي التساؤل عن ضرورة توفر مصطبات ومسارات مظللة وعربات لذوي الاحتياجات الخاصة والنقل ضمن محيط العتبة؟ أكَد (82%) من شريحة الاستبانة ضرورة توفر مثل هذه العناصر لتسهيل حركة الزائرين واستيعاب الزحامات.

أما المواكب العزائية أيام المناسبات والزيارات الدينية ومواكب الخدمة فهي تعد من أبرز هذه المحددات الفضائية في عموم النسيج والعتبة العلوية المقدسة، والتي حاولت المشاريع المقترحة كافة أخذها بالحسبان على الرغم من عدم إمكانية إحصاء أعداد المعزين وطقوسهم وعاداتهم وتقاليدهم في هذه المناسبات. كل هذا يلقي بظلاله على مساحة العتبة ونسيجها التي لا تستوعب، بفضاءاتها الحالية، الكم الهائل من عموم المحددات..

التنظيم الاجتماعي – الفضائي في عمارة العتبة العلوية المقدسة ونسيجها المتاخم

في الزيارات العامة والخاصة، تعد تجمعات الزائرين في العتبة ونسيجها المتاخم، بعد أو قبل أداء مراسيم الزيارة، من التقاليد الاجتماعية الملحوظة والتي من الضروري أخذها بالحسبان في أي تغيير أو تطوير مقترح. فالكل يتجمع تحت المسقفات أو خارجها سواء في العتبة أم نسيجها للانتظار والاستراحة، إذ تتجمع العوائل وتبدأ رحلة التعرف على الآخرين والتواصل معهم بشكل عفوي وما يترتب على أثرها من علائق اجتماعية طيبة وتعارفات وأحاديث وجلسات تناول طعام كما في الشكل (6). كما لوحظ أن أكثر الزائرين يجلبون طعامهم معهم. وهذا المعيار يعد من المفردات الرئيسية في السياحة الدينية والمتنفس للعائلة العراقية، لغرض التواصل مع الإمام والارتباط به من جهة وتغير الأجواء الروتينية التي تحياها العائلة من جهة أخرى. ولقد لاحظ الباحث غياب هذا البعد في المقترحات التصميمية المعدة من قبل الشركات المحلية والعالمية. والسبب في ذلك يعود إلى، استناد رؤية عدد من المختصين المعماريين والمخططين إلى صعوبة قياس هذا الجانب الذي يعد من المعايير الاجتماعية والتي ترتبط بسلوك الزائرين وتقاليدهم الغير ملموسه. كما تتباين الفضاءات أو المساحات المستغلة من قبل هذه الجماعات وفقاً لتباين أفراد المجموعة وأعداد الزائرين والمساحة أو الفضاء الذي يمكن استغلاله. اذ تأخذ هذه التجمعات مساحات واسعة في أيام الزيارات العادية مقارنةً بحيزها الفضائي أيام الزيارات والمناسبات الدينية. كما في الشكل (5) والتي توضح النشاطات التي تأخذ حيز فراغي يؤثر بشكل كبير في مساحة العتبة.

شكل (5) يوضح جانب من الفعاليات الدينية التي تقام في صحن العتبة العلوية المقدسة. المصدر: موقع العتبة العلوية المقدسة 2018

شكل (6) يوضح التجمعات العائلية تحت مسقفات صحن الامام الحسين (ع) من جهة باب الطوسي(يمينا) وتحت مسقف الامام الحسن (ع) وتحديدا مقابل جامع الخضراء(يساراً). المصدر: عدسة الباحث

المستوى الرابع: المرقد العلوي باعتباره عقده سياحية دينية وتأثيرها في أعداد الزائرين.

تأثير مفهوم العقدة السياحية في تطور عمارة العتبة:

تنوع المرافق ضمن النسيج المحيط بالعتبة والمتمثلة بالمحال التجارية والمطاعم والفنادق والمراكز الترفيهية، كالمقاهي. لذا فمن الضروري وصف مدينة النجف الأشرف عقده سياحية دينية واجتماعية وثقافية. إنَ الزيادة الكبيرة وغير المتوقعة لأعداد الزائرين محلياً وعالمياً، حدا بالمختصين في العتبة والجهات الحكومية إلى ضرورة دراسة المنطقة المحيطة بالعتبة لغرض استيعاب الأعداد الكبيرة من الزائرين وتوفير متطلبات أقامتهم وأداء فعالياتهم وما يستلزمها من وجود أو توفر مساحات مفتوحة. وعند تحليل المشاريع المقترحة والمنفذ منها لتطوير العتبة والحزام المحيط، نرى محاولة الكثير من هذه التصاميم التجاوز على النسيج التقليدي

القديم لخلق فضاءات حضرية وزيادة القدرة الاستيعابية للزائرين. إلا أنَ هذه الفضاءات تقف عاجزة عن استيعاب الملايين أيام المناسبات المتعددة على مدار السنة.

وتصب التساؤلات كافة التي طرحها الباحث أثناء المقابلات الشفوية مع ذوي الاختصاص والجهات الرسمية، علاوة على أسئلة الاستمارة الاستبانية، في مفردات فكرية ومفاهيمي تتعلق بشكل أو بآخر في الوصول إلى ما يحقق ويجسد المفهوم السياحي الديني لمنطقة الدراسة. وفي التساؤل عن الأعداد المتزايدة من الزوار وكثافتهم وفعالياتهم تتطلب خلق صحون ومساحات مفتوحة وجديده لاستيعابها، ومسقفات جديده لاستيعابهم؟ إنَ الفضاءات الحضرية الحالية المتاخمة للمرقد العلوي المقدس لا تستوعب أعداد الزائرين وفعالياتهم الدينية والاجتماعية وطقوسهم أيام المناسبات والزيارات. ولقد أكد (92.7%) من أفراد عينة الاستبانة على ضرورة توسعة الفضاءات الحضرية المحيطة بالعتبة وتمددها لتلبية الأعداد الهائلة من الزائرين وتحقيق نشاطاتهم وفعالياتهم الدينية علاوة على الاجتماعية والثقافية منها والتي هي جميعها مفردات وعناصر تشكيلية لتحقيق أو تجسيد البعد الاجتماعي والثقافي للزيارة.، وفي التساؤل عن ضرورة توفر خدمات ضمن النسيج المتاخم مثل نقاط التفتيش والدفاع المدني والإسعافات الأولية حول العتبة ونسيجها؟ فقد أكدت شريحة الاستبانة بنعم (91.9%). كما تبين من طريق المقابلات أنَ نقاط التفتيش، على سبيل المثال تعرقل، بشكل أو بآخر، حركة الزائرين وتخلق نوع من التململ لديهم واصفين إياها بالأسلوب غير الحضاري أحياناً هذا التعبير يرتبط بشكل كبير في نية الزائر وصول هذه المنطقة إلى مستوى المناطق السياحية العالمية والتي يتحرك فيها الزائر بحرية عالية ويمارس طقوسه وفعالياته بطريقة سهله ودون أي تقييد أو تحديد من قبل الجهات الأمنية.

الاستنتاجات والتوصيات:

1- من الضروري أخذ مفاهيم القدسية المكانية والشخصية والتواصل الديني والروحي بين الفرد والمقدس كمعايير وثوابت أساسية في تهذيب المجتمع وتنظيم حياته وتشكيل بيئته الحضرية بغض النظر عن أية محددات مادية أو إدارية.
2- ضرورة توفر دراسة دقيقة وخلاقة لعمارة العتبة العلوية المقدسة واستعمال التفاصيل المعمارية وأدقها وأجملها لارتباط هذا المكان المقدس بالله، باعتباره المبدع الأول.
3- ضرورة اخذ أعداد الزائرين وسلوكهم وفعالياتهم وأنشطتهم الاجتماعية والثقافية والدينية كمعايير رئيسة في أية تطورات مستقبلية. كما يجب أخذ الحد الأقصى المتوقع من أعداد الزائرين عند أي تغيير في نسيج المدينة الحضري.
4- ضرورة توفير البنى التحتية الأساسية للأعداد القصوى من الزائرين، والتي تتمثل بتوفير الصحيات وتوزيعها، بما يغطي كامل النسيج، ومراكز صحية ومراكز الدفاع المدني ومراكز إرشادية واستعلامات وغيرها. علاوة على تعريف الزائر بشكل مبسط وسهل بأسلوب تحركه عن طريق علامات وإرشادات موزعه بشكل منظم تغطي كامل النسيج من المرقد إلى شارع السور.
5- دراسة إمكانية إيصال الزائر أو دخول المركبة بشكل منظم دون التأثير على حركة السابلة أو تقاطعها مع حركة الزائرين. يتضمن ذلك أيضا أماكن وقوف السيارات والمركبات وحافلات نقل الركاب والقطارات، إنْ كانت هنالك إمكانية في ربط مدينة النجف المقدسة بسائر المحافظات بخطوط سكك حديدية تقلص من حدة الازدحام وتزيد أعداد الزائرين خصوصا وان المرقد العلوي ونسيجه المتاخم يقع على مرتفع.
6- ضرورة عد عمارة العتبة العلوية المقدسة وأبعادها ومقياسها وارتفاعها كأساس في التطورات الحضارية والأبنية أو الأروقة المقترحة ضمن النسيج الحضري المتاخم إلى شارع السور، لغرض تحقيق وتجسيد مفهوم التواصل الروحي بين الفرد بمقياسه الإنساني ولغرض استشعار قدسية المكان عند الزائر. إذ أثرت المباني الحالية بارتفاعها اللاإنسانية والذي يفوق ارتفاع قبة المرقد، في بعض، الأحيان، وكتلها البنائية وأشكالها الخارجية التي لا تمت بصلة إلى العمارة الدينية أو الأسلوب التقليدي الذي يتلاءم ويتناغم مع عمارة الضريح، علاوة على المواد المستعملة والانهاءات الخارجية والألوان التي تؤثر بصرياً على المشهد الحضري للمدينة، والتي شكلت أبرز الملوثات البصرية والبيئية والمعمارية.
7- لا يمكن إقرار تصميم أي مشروع وظيفي إلا بقدر الحاجة الماسة لهذا المشروع في تلبية حاجات ومتطلبات الأفراد المستعملين. هذه الحاجات تختلف من مشروع إلى آخر وترتبط بضوابط ومعايير معينة يشكل الفرد ومقياسه وسلوكه وأنشطته المختلفة الدور الأكبر في رسم المخطط النهائي لأي مشروع معماري. وفي عمارة العتبات المقدسة بشكل عام والعتبة العلوية على وجه الخصوص.

ا- تزخر مثل هذه الأبنية وترتبط بوظائف وفعاليات متعددة ومختلفة لما لها علاقة بمفاهيم روحانية وعقائدية علاوة على الخصائص الاجتماعية والثقافية. ولكل فعالية من هذه الأنشطة خصائص فضائية وحجمية وكتليه، علاوة على الدينية، ترتبط بالزائر وخلفيته

الثقافية واستيعابه الفكري لمفهوم القداسة والمقدس ولمنزلة الأمام (ع) الشخصية والدينية والعقائدية وأسلوب إظهار هذا الحب وتجسيده عن طريق مجموعة مختلفة من العادات والتقاليد والطقوس التي توارثتها الأجيال وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من شخصية الفرد. لذا يوصي الباحث بما يأتي:

ب- ضرورة تشكيل مجاميع متخصصة ذات خلفيات ثقافية مختلفة لدراسة هذه الطقوس والعادات من الناحية التاريخية والثقافية والاجتماعية والاحتياجات الفضائية والحجمية المعمارية والحضرية لغرض استيعاب هذه الفعاليات والأنشطة وتنظيمها حضريا بأسلوب متكامل ومتناغم ومتجانس مع عمارة الضريح، استنادا إلى ما يفرضه المعيار الثابت من القدسية والقداسة والمقدس على الزائر وسلوكه.

ج- نظرا إلى الأعداد المتزايدة من الزائرين، التي شهدتها السنوات الأخيرة، وبعد الانفتاح على دول العالم الإسلامي وقدوم المسلمين من كافة دول العالم لزيارة الأضرحة المقدسة، لذا فمن الضروري إعادة رسم وتنظيم النسيج الحضري المتاخم للعتبة ومنه إلى شارع السور المحيط وتوزيع هذه الفعاليات وتعددية الأماكن المناسبة لأدائها بما يستوعب هذا الازدحام ويلبي حاجة الزائر.

د- ضرورة وجود دراسة حقيقية في مدى صلاحية النسيج الحضري التقليدي المتاخم للعتبة وحالته الإنشائية المتردية والمتهرئة في ظل وجود حاجة ماسة لانفتاح هذا النسيج وتشكيله حضرياً وفضائياً لاستيعاب هذه الأنشطة، الأسبوعية منها والسنوية، والتي من أهمها تأتي فعالية صلاة الجماعة، إذ يزدحم الصحن الحيدري والأروقة الخارجية والفضاء المحيط بها بالمصلين والزائرين الراغبين في تأدية الصلاة، وما يؤدي ذلك الزحام وعدم وجود الفضاءات الكافية لاستيعابه في بعض الأحيان، إلى خلق نوع من التصادم الجسدي، كما لاحظه الباحث ميدانياً، بين الزائرين وأفراد طاقم العتبة العلوية.

هـ- تشكل المواكب الجنائزية للتشيع والدفن محور أساسي نظرا لقرب مرقد أمير المؤمنين (ع) من مقبرة السلام. لذا يكتسب الطريق الرابط بينهما أهمية خاصة وتتضمنه فعاليات وأنشطه عزاءيه معينة. لذا فمن الضروري وجود، أو تضمين أية مقترحات تطويرية، دراسة متخصصة وحلول تصميمية ناجعه لغرض تأدية هذه الشعيرة.

ح- نظرا لوقوع المرقد والنسيج التقليدي المتاخم على مرتفع يشرف من الجهة الغربية منها على بحر النجف واشتماله على مجموعه من الأماكن المهمة، ولغرض استيعاب أعداد الزائرين ووصولهم إلى العتبة بأسهل وأسرع الطرق، يرى الباحث ضرورة وجود أو تعدد أماكن دخول الزائرين بمسارات تربط بين الشارع الحولي الفاصل والمرقد العلوي ومن ثم دراسة إمكانية زيادة مواقف العربات ومساحاتها بأسلوب تنظيمي مدروس يضيف للتشكيل النهائي الحضري والبنائي لمسه معمارية وبما يحقق معيار السلامة والأمان والراحة للزائر.

ط- ضرورة دراسة إمكانية تشييد حزام سكني وتجاري وترفيهي خارج شارع السور وربطه معمارياً وحضريا بالمرقد العلوي عن طريق استخدام الأروقة والمسقفات وفضاءات الراحة بما يجعل المسافة بينهما غير ذا اعتبار ولا تؤثر على أو تجهد الزائر، كاستعمال الأحزمة الناقلة أو غيرها من التفصيلات والمعالجات المعمارية.

CONFLICT OF INTERESTS.

- There are no conflicts of interest.

المصادر:

[1] أبن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى، *لسان العرب*، بيروت، دار صادر، الطبعة: الثالثة، 1414 هـ، المجلد الخامس، باب العين، 1994م، 2004.

[2] http://www.almaany.com, viewed 4:00pm 22/6/2017 ،*قاموس المعاني*

[3] من جان فرنسوا دورتية، معجم العلوم الإنسانية مادة مقدس في كل، باريس، بيروت، ومعجم علم الاجتماع لبودن والشرقاوي وغيرهما، باريس، 2007.

[4] Emile Durkheim (1986) les forms elementariness de la vie religious, puff

[5] مرسيليا الياد، *الأنسان بين المقدس والدنيوي*، ترجمة: حسن العمراني، 2014

[6]- http://shamela.ws/index.php/category/, viewed 6:00 am 3/5/2017

المكتبة الشاملة البقاعي

[7] https://islaamiclibrary.wordpress.com/2009/03/01, viewed 10:55pm 4/7/2017

التفسير عن ابن عباس المقدس أي المطهر.

[8] http://www.almaany.com, viewed 4:00pm 22/6/2017 مفردة التقديس قاموس المعاني

[9] رائد سالم حسن التل، النمطية والتغيير في التشكيل المعماري المعاصر للمسجد، رسالة ماجستير في العمارة الإسلامية، معهد العمارة والفنون الإسلامية، جامعة ال البيت، عمان، 1997.

[10] المالكي، قبيلة فارس، العمارة المعاصرة في العالم الإسلامي هويتها وأثر تكنلوجيا "تقانة" العصر فيها، "العمارة العربية الإسلامية المعاصرة إشكالية الهوية، بحث مقدم للمؤتمر المعماري الأول لنقابة المهندسين الأردنيين، 1998.

[11] مصطفى الصقور صقر، "كيف يساهم الفكر المعماري الإسلامي في بلورة الهوية المعمارية الإسلامية"، المؤتمر المعماري. الأول لنقابة المهندسين الأردنيين بعنوان العمارة العربية الإسلامية المعاصرة "إشكالية الهوية"، المركز الثقافي الملكي، 1998.

[12] إبراهيم عبد الباقي محمد، رحلة البحث عن الذات، 1999.

[13] جبر فلاح وصوريا سالم، الزمان والمكان في العمارة الإسلامية بين التأثر والـــتأثير مجلة العلوم والتكنلوجيا، م (12)، (العدد.)2، 2007.

[14] إبراهيم عبد الباقي محمد، المنظور الإسلامي للنظرية المعمارية، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، جمهورية مصر العربية، 1986.

[15] حيدر عبد الرزاق كمونه، "أثر الفكر الإسلامي في التشكيل الحضري" المؤتمر المعماري الأردني الثاني، جمعية المعماريين الأردنيين، عمان، الأردن، 2000.

[16] Fran Tonkiss, *Space, the city and social theory*: Social Relations and Urban forms published by Polity press, London, 2005.

[17] صبا إبراهيم البدراني، التحولات في الهوية المعمارية للبيئة الحضرية – دراسة تحليلية لآلية المقاومة الثقافية في الشوارع التجارية لمدينة الموصل أطروحة دكتوراه قسم الهندسة المعمارية، الجامعة التكنلوجية، بغداد، 2008.

[18] Lynch, K. "What Time is This Place?", Cambridge, MA: MIT Press. ،1972.

[19] "Cook, Catherine" Chernikove, Supermatism & Constructivism، .1989

[20] حيدر عبد الرزاق كمونة، *البعدان التخطيطي والتصميمي لمدينة النجف الأشرف*، 2013.

[21] احمد عزت، *أصول علم النفس*، دار المعارف، القاهرة، 1979.

[22] European Landscape convention, 2000

[23] نبيهة السامرائي، *علم النفس البيئي*، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2013

[24] جلال شمس الدين، *علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه ج2*، مؤسسة الثقافة الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2012

[25] علي سعيد لفتة، *الإقليم الوظيفي لمدينة النجف الكبرى أطروحة دكتوراه فلسفة في الجغرافية*، كلية الآداب جامعة بغداد، أطروحة غير منشوره، 2007.

[26] محمود رزوقي حمد جنجون، *المتغيرات في عمارة العتبات المقدسة*، أطروحة دكتوراه في فلسفة العمارة، قسم هندسة العمارة، كلية الهندسة، جامعة بغداد، 2018.

[27] Steinberg.F., *Conservation and rehabilitation of urban heritage in developing countries*, 1996. Habitat International, 2003.

[28] Keith Still, *Crowd Safety and Risk Analysis Measures of density of persons per square meter*, safety and gravity of the crowd, 2016.

[29] Iraq Ministry of Planning Development Board, Doxiadis associates consulting Engineer's, "The Future of Najaf & Kufa, 1958.